جمع وإعداد وترتيب
علي الجوهري

المناظرة الأولى

أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين

مكتبة التراث الإسلامي

مقـدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبىَّ بَعْدَه..

وبعـــد:

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وماختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب* فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾(1).

ويقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾(2).

وكإنسانٍ مُسْلم يلحُّ على خاطرى سؤال: هل نشعر نحن المسلمين بنعمة الإسلام؟ أم غدَا الإسلام كالصحة تاجٌ على رءوس الأصحاء لايشعر به إلا المرضى؟ ولكن الصحة مع افتراض صحة هذة المقولة بشأنها تجد بين الناس من يشعر بأهميتها وقيمتها خصوصاً أنه لا يكاد يوجد إنسان لم يلم به شىء من مرض فى مرحلة من مراحل حياته، مما يجعل الناس عموماً يشعرون بقيمة الصحة وأهميتها.

وإذا كانت الدنيا دارَ فناء، والآخرةُ هى دارُ البقاء؛ يغدو الدِّينُ عقيدةً وشريعةً أهَمَّ شاغلٍ ينبغى أن يشغل البَشَرَ دون مراء.

بأى دين ينبغى أن يدين الإنسان؟

سؤال يشغل بال الإنسان ويميزه عن الجماد والنبات والحيوان منذ بداية الزمان حتى اكتمال ظهور الأديان بين بنى الإنسان فى كل مكان.

ولو ضربنا صفحا عن وَثَنِية اليونان القدامى وعبادة الأصنام لديْهم ولَدَى غيرهم،

(1) سورة آل عمران: ١٩ ـ ٢٠.

(2) سورة آل عمران: ٨٥

ولو ضربنا صفحا عن ديانات الشرق القديم باعتبار أن بُطْلانَها أظهر من أن يشار إليه، نجد أن أديان التوحيد الثلاثة تتطلب المقارنة بين هذه الأديان لمعرفة نصيب كل منها من الصحة أو البُطْلان.

اليهودية، والمسيحية، والإسلام، ايها صحيح وايها أوْلى بالاتباع؟ أمْ أنَّ كلٌ واحد من هذه الأديان صحيح، ويمكن لأى شخص أن يختار أىَّ واحد منها لكى يتبعه اختياراً عشوائياً مغمض العينين؟ سؤال يقتضى بالضرورة قيام عِلْمِ مقارنة الأديان، وليت هذا العلم يأخذ حظه اللائق بأهميته من الاهتمام دون حساسيات العصبية، ودون معوقات الاعتبارات الدنيوية، اعتماداً على المناهج العلمية الموضوعية التى لاتدَّعى دعوى دون دليل أو برهان يثبت صحتها دون مغالطة أو بُهتان.

والقرآن الكريم نفسه يعرض لمعتقدات أصحاب الديانات السابقة زمنيًّا للإسلام وَثَنِّيِينَ وأهْلَ كتاب، ولايستطيع أصحاب أيِّ دينٍ مِنْ هذه الأديان أن ينكروا وَصْفاً وَصَفَ به القرآن الكريم عقيدةً مِنْ عقائدهم. وهذه الحقيقة معجزة من معجزات القرآن الكريم. ولو لم تكن الأوصاف التى وَصَفَ بها القرآن الكريم عقيدةً مِن العقائد الدينية صادقةً كُلَّ الصدق، لما كان هناك أسهل من أن يصيح أصحاب هذه العقيدة أو تلك قائلين: «كَلاَّ، ليست عقيدتنا كما يصورها لينتقدها القرآن الكريم»، وهو مالم يَحْدُثْ فى الواقع الفعلى على أسسٍ موضوعية صحيحة حتى الآن. وأكثر من ذلك نجد أن القرآن كان يتنبأ مستقبلاً عما سيقولونه، فلا يستطيع خصوم الإسلام أن يتجنبوا المقولة التى تَنَبَّأَ القرآن الكريم أنهم سيقولونها.

ولقد كانت سيرة حياة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم حافلة بكثير مِنْ صُوَرِ الجدل بالتى هى أحسن بشأن الدين عقيدةً وشريعة، كما كان نبى الإسلام عليه السلام طرفًا فى مناظرات أبرزها مناظرة النبى عليه السلام مع وَفْد نصارى نجران، وهى المناظرة التى يجمع المفسرون وعلماء أسباب النزول على أنَ الآيات الثمانين ونيِّفًا من آيات صَدْرِ سورة آل عمران قد نزلت بشأن هذه المناظرة. وعَدَدُ آيات القرآن الكريم التى نزلت بشأن هذا الحدث الهامِّ لَمْ يَحْدُثْ له نظير لأى سَبَبٍ آخر مِنْ أسباب التنزيل، مما يدل على أهمية هذا الحدث الخطير.

ولو كانت وقائع مناظرة النبى عليه السلام مع وَفْد نصارى نجران قد جَرَتْ لصالح النصارى كما خطط لذلك إمبراطور الرومان، لكانت الأضواء قد سُلِّطَتْ على وقائع هذه المناظرة الفريدة الحاسمة الدلالة منذ وقوع أحداثها إلى آخر الزمان، ولما أُلْقِيت عليها ظلال الإهمال والنسيان لدرجة أن دلالتها تكاد تغيب عن الأذهان!

ولم تكن مناظرة النبىّ مع وَفْد نصارى نجران حدثًا بسيطًا، ولم تكن دلالتها شيئاً ضئيلاً، ولم تكن نتائجها نزراً يسيراً؛ بل كانت تلك المناظرة بكل المقاييس والمعايير موقعة حاسمة فى حرب طاحنة من حروب الفكر، لايقلُّ النصر فيها أهمية عن أهمية النصر فى أكبر معارك الحرب فى تاريخ البشر.

جَرَتْ وقائع هذه المناظرة فى العام العاشر للهجرة، إذ كانت دعوة الإسلام قد بلغت أَوْجَ نضجها، بَعْدَ أن كان الإسلام قد دَحَرَ على المستوى الفكرى وعلى المستوى العسكرى فُلُولَ الوثنية، ومراوغات اليهودية؛ فجاء وَفْدُ نصارى نجران يريد أن يحسم هذا الصراع الفكرى لصالح النصرانية فلَقِى مالَقِيَتْهُ الوثنيَّةُ واليهوديَّةُ!

وإحياءً لمعانى هذه المعركة الحاسمة من معارك الفكر، وليطمئن المسلم تمام الاطمئنان إلى أن الإسلام هو أكبر نعمة أنعم بها الله على مَنْ اهتدى إلى الإسلام، يحقُّ للمسلم أن يتذكر وأن يتأمل وأن يتدبر تفاصيل مناظرة النبى عليه السلام مع وفد نصارى نجران.

ولنلقى الضوء على هذا الحدث العبقرى من أحداث التاريخ الإسلامى نجد أنه من الضرورى إلقاء الأضواء اللازمة على معاركِ الفكر الظافرة التى خاضها الإسلام للقضاء على الوثنية التى لم يَقْضِ عليها دينٌ من الأديان قبل الإسلام، ثم نلقى الأضواء على معارك الإسلام ضد اليهودية وعناد معظم أتباعها من دعاة العصبية الإسرائيلية حتى تتضح معالم هذه المواجهة الفكرية بين نبىِّ الإسلام عليه السلام مع ذلك الوفد من وفود النصرانية.

وغنىٌّ عن البيان أننا فى هذه الدراسة الوجيزة نهدف إلى استجلاء الحق لوجه الحق وحده لنُدْرِكَ عَظَمَةَ نعْمة الإسلام فى هذا الزمان الذ[illegible]الَتْ فيه قُوَى الشر والشيطان فى محاولة عاتية لطمْس معالم عَظَمَةِ نعمة الإسلام. والله ولى [illegible]

وهو سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

وغنىٌّ عن البيان أيضاً أن وفْدَ نصارى نجران الذى تحرك من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى قَلْبِها لمناظرة نبىِّ الإسلام عليه السلام لم يتحرك من فراغ. لقد كان وراءه ما وراءه من رغبة قادة المسيحية وإمبراطور الرومان فى تحقيق انتصار فكرى حاسم لوأْدِ دعوة الإسلام فى فجر تاريخها وفى عُقر دارها. وكان وَفْدُ نجران مكوَّنًا مِنْ ستِّينَ عالمًا من علماء المسيحية الذين يكرسون كل عمرهم لدراسة الدين والفلسفة. كان وراءهم كهنوت وجبروت المسيحية، وكانت وراءهم كل فلسفات اليونان. ولم يكن نبىُّ الإسلام عليه السلام مجرد عربىٍّ أمّىٍّ، لقد كان نبيًا رسولاً هو خاتم المرسلين والأنبياء، وكان وراءه القرآن الكريم آخر صُوَرِ وَحْيِ السماء. ومن الضرورى لإلقاء الأضواء على مناظرة النبى لوفد نصارى نجران من محاولة الوقوف على كل مايحيط بطرفيها من أجواء بكل وضوح وجلاء والله ولىُّ التوفيق.

الراجى رحمة ربه وتوفيقه:

على الجوهرى

طنطا فى ١٤/١٠/١٩٩٢م

اللـــه

قال الله سبحانه وتعالى فى محكم آيات القرآن الكريم:

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون۞ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين۞ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم۞ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون۞ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين۞ وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين۞ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلي حين۞ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم۞ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون۞ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون ﴾ (١).

مثْلُ هذه الآيات القرآنية الكريمة ـ ولا ريب ـ تهدى الإنسانَ إلى الله، خَالقِ الكَوْنِ وخالقِ الإنسان، ويعرف منها الإنسانُ مكانَه ومكانَتَه مِنَ الوجود؛ فهو بمشيئة الله وقدرته وحكمته، هو ، الإنسان، خليفةُ الله فى الأرضِ، كَرَّمَهُ اللهُ من بين الخلائق جميعاً بالعلم والمعرفة ليدرك الصوابَ والخطأَ. ومَنَّ الله على الإنسان بإمْكانيَّة التوبة إنْ أخطأ الإنسان وأدْرَكَ الخطأَ فَلَمْ يتَمادْ. وزاد تكريم الله للإنسان إذ وَعَدَ الله الإنسانَ منذ بداية الزمان فى عالم الإنسان، وَعَدَهُ بأن يأتيه منه هُدًى، آيات

(١) سورة البقرة: ٣٠ ـ ٣٩. وهذه الآيات العشر الكريمة من آيات القرآن تقدم صورة متكاملة تُطلِعُنا على أسرار الوجود ومكان الإنسان من الوجود.

بيِّنات، لايخاف ولايحزن من اتبع هداها، ويستحق عقاب الله كلٌّ منْ كَفَرَ وكَذَّبَ بها.

منْ الذى اقتضت إرادته ومشيئته أن يتخذ فى الأرض خليفة؟ إنه الله! منْ الذى عَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كلها لتتاح للإنسان كنوز العلم والمعرفة؟ إنه الله! منْ الذى أنْعَمَ على الإنسان بكل مايتمتع به الإنسان من النعم الظاهرة يحسها ويدركها؟ إنه الله! منْ الذى فتح باب التوبة للمخطىء ليعود إلى سواء السبيل؟ إنه الله! منْ الذى جعل للإنسان آياتٍ تهديه إلى الصراط المستقيم؟ إنه الله! منْ الذى شَرَعَ الثوابَ والعقابَ لتستقيم أمورُ البشر؟ إنه الله! نظرية كاملة متكاملة تعينُ الإنسان على فَهْم الوجود، وفَهْم مكانه من الوجود. نظرية كاملة تُفَسِّرُ العلم والعالم، وتوضح الثواب والعقاب، ليستقيم سلوك من يهتدى إلى الاستقامة من البشر، وليظفر منْ يستحق الظفر، وليخسر منْ ضَلَّ وأفْسَدَ وَكَفَر، مع إمكانية التوبة لمن استغفر لذَنبه فلم يتماد فى ارتكاب الخطايا ولم يستمر.

الله كما يتبدى لنا فى آيات القرآن الكريم هو الخالق الرازق الكريم العليم القادر الحكيم العادل، له سبحانه وتعالى كل صفات الجمال والجلال والكمال التى صَوَّرتْها فى مُحْكَمِ الآيات أسماءُ الله الحسنى، وَصَفَ بها الله سبحانه وتعالى نفسه، إذ تعْجزِ عقولُ البشر عن وَصْفه.

وتأمُّلُ تاريخ الفكر البشريِّ، يُطلعنا دون ريب، على حقيقة لا مراء فيها هى عَجْز العقل البشرى وحده عن فَهْم الإنسان لسرِّ الوجود، وفهم مكانه من الوجود، وفَهْم إمكانات الفَهْم ذاته دون مساعدة الله للإنسان بآيات الله البينات يوحيها الله سبحانه وتعالى إلى المصطفَين الأخيار من الأنبياء والرسل عليهم السلام بدءا بسيدنا آدم، أبى البشر، الذى ينتسبون جميعًا إليه؛ وانتهاء بخاتم الأنبياء والمرسلين، النبى العربى محمد صلى الله عليه وسلم.

ويُطلعنا تاريخ الفكر البشريِّ على أن ديانات الشرق القديم لم تستطع بمجرد تأمل الكون اعتماداً على العاطفة التى تنبع من أعماق القلب أن تصل إلى الحقيقة، بل وصلتْ إلى ما أسماه أصحاب ديانات الشرق القديم «النرڤانا» أو الفناء. وإنها لمصادفة

عجيبة أن تصل محاولة الوصول من الأرض إلى السماء، دون عَوْنٍ من رب السماء، إلى ما أسماه مُفَكِّرو ديانات الشرق القديم أنفُسهم باسم «النرفانا» أو الفناء!

ويطلعنا تاريخ الفكر البشريّ فى الغرب القديم حيث نَمَتْ وترعرتْ فلسفة اليونان والرومان على أن اعتماد البشر على العقل وحده قد أفضى إلى تناقض الآراء.

ولو ضربنا صفحا عن ديانات الشرق القديم باعتبار أن شأنها لم يعد ذا بال، لوجدنا أن أقْدَمَ ما وَصَلَ إلينا من تراث اليونان القدامى هو الإلياذة والأوديسة للشاعر اليونانى هوميروس حيث ترجع أولاهما إلى القرن التاسع قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

وأهم ما يلفت النظر فى الإلياذة والأوديسة هو كيفية تصوير الآلهة وصياغة المبادىء الخُلُقيّة التى كانت سائدة بين اليونان فى إطار من الشِّعْر الرائع والصياغة الفنية المحبوكَة التى تعتمد على الخيال لمخاطبة الخيال وتشويق الخيال للتحليق فى عالم الخيال الذى يتسلى به البشر أجيالاً بعد أجيال.

كانت آلهة اليونان القدامى تحتل قمم جبال الأُولمبْ، يؤلفون فوقها حكومة إلهية على رأسها كبير الآلهة «زيوس» الذى تربّع على عرش الآلهة اليونانى، ثم تربَّعَ فوق ذُرَى البانثيون الرومانى.

ولقد اتخذت الآلهة عند اليونان ثم عند الرومان القدامى «الصورة البشرية». ولذلك كانت الآلهة عند قدامى اليونان والرومان يأكلون ويشربون ويتزاوجون وتتفشّى بينهم الخيانة الزوجية وكل أساليب الغش والتحايل والمكر والخداع والسرقة، وكانَ يعتَور حياتَهُم كُلُّ ما يعتور حياةَ البَشَرِ من شهواتٍ ونقائص، وكُلُّ الفَرْقِ بين تلك الآلهة المخلوقة من بنات أفكار البشر وبين البشر هو أن الآلهة اليونانية القديمة كانت أقوى من البشر جسماً، وأذكى عقلاً، وكانَ يجرى فى عروق الآلهة اليونانية القديمة وفْقاً لما اقتضاه خيالُ اليونان القدامى دماءٌ غيرُ دماء البشر، دماءٌ تخيّل اليونان والرومان القدامى أنها كانت تكفل لآلهتهم الخلود، إذ كَان خيال اليونان القدامى يأبى القبول بأىِّ إله يَمُوت.

ولقد كان اليونان القدامى يتخيلون أن الآلهة التى خلقوها من بنات خيالهم

تسيطر على حياة البشر، كلٌ فى مجال اختصاصه. كان لديهم إله للحرب، وإله للسلام، وإلهة للجمال، وإله للحب والغرام، وإله للانتقام، وإله للبحر، وإله للأرض، وإله للريح، وإله للمطر، وإله للنار، وإله للخير، وإله للشر؛ لقد تخيَّلوا إلهاً يُسيْطر ويُدبِّر كُلَّ شأن من شئونهم ذى قيمة أو خطر!

ولم تكن هذه الآلهة اليونانية الرومانية القديمة تلتزم العدل فى تصريف أمور البشر. كانت آلهةً لا تُنْصِفُ فى ثواب أو عقاب. وهذا هو السبب فيما كانوا يعتقدونه بشأن عَمى وطَيْشِ القَدَرِ.

وإذا كان الشاعر هزيود، الذى عاش فى بلاد اليونان فى القرن الثامن قبل الميلاد قد حاول أن يتدارك شيئا من هذه الفوضى فى ديوانه المعروف باسم « الأعمال والأيام » أو ديوانه الآخر المعروف باسم « أصل الآلهة » إلا أن صورة الآلهة كما رسمها خيال الشاعر اليونانى هوميروس فى «الإلياذة والأوديسة» ظلت هى المسيطرة على تَصَوُّرِ اليونان ثم الرومان القدامى للآلهة.

ومن العجيب حقا أن أكبر مفكرى اليونان أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو لم يستطع واحد منهم أنْ يُغيِّر من صورة الآلهة لدى اليونان القدامى عما رسمه لهم هوميروس من صورٍ بشريةٍ من محض خياله، حتى جاء القديس «بولس» الذى كان يهودياً يُدْعَى «شاول» ليُقَدِّمَ لليونان وللرومان المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام على ذات الصورة التى كان يفضلها قدامى اليونان والرومان إنساناً إلهاً، أو إلهاً فى صورة إنسان، كما كان يشتهى ويتصور قدامى اليونان والرومان، ليتحالف على إفساد الدين وإفساد دعوة المسيح عليه السلام مَكْرُ اليهودِ ورِماحُ الرومان!

ويلفتُ النظرَ بشدَّة أنه لم يُؤثر على الإطلاق ظهور نبيٌّ من أنبياء الله أو رسول من رسل الله بين اليونان القدامى قَبْلَ ميلاد المسيح عليه السلام أو بَعْدَه. ومعنى ذلك بكل حَسْمٍ ووضوح هو أنَّ المعتقدات الدينية لدى قدامى اليونان كانت نابعة هى الأخرى من أسفل إلى أعلى، أو إن شئت فقُلْ من الأرض إلى السماء، اعتماداً على الخيال الذى كان له أطْوَلُ باعٍ فى رَسْم صورِ آلهة اليونان القدامى، ولم يستطع العقل اليونانى وَحْدَهُ كما تمثَّل فى جهود سقراط وأفلاطون وأرسطو أن ينجح فى

زحزحة مارَسَمَهُ خيالُ هوميروس من صُوَرِ آلهة اليونان والرومان القدامى.

ويلْفتُ النظرَ بشدَّة أيضا شيوع الاعتقاد بوجود الله فى الشرق الأقصى القديم وفِي الغَرب القديم على حدٍ سواء، ولكن حرمان كل من هاتين المنطقتين من وحْيِ السماء عن طريق الرُّسل والأنبياء الذى انفردت به منطقة الشرق الأوسط أفضى إلى تخبُّط الناس فى هاتين المنطقتين فى الوصول إلى الله على نحو بالغ الوضوح لكل من يطالع كتب التاريخ. وهذه الحقيقة المتمثلة فى شيوع الاعتقاد بوجود الله مهما اختلفت تصورات البشر لله هى التى أفضت إلى دليل من أهم الأدلة على وجود الله ألا وهو الدليل المسمى بدليل «إجماع الأمم على وجود الله»:

«CONSENSUS GENTIUM»

ومع أن الخيال الهوميروسى كان هو عُمْدَةُ تصوُّر الآلهة لدى قدَامَى اليونان والرومان، إلا أنه من الضرورى أن نتأمل فى عجالة سريعة تخبُّطَ وتناقض العقل اليونانى أيضاً فى هذا المجال.

إن أقدم ما وصل إلى البشرية من فكْرِ اليونان القدامى المتمثل فى فكْر أصحاب المدرسة «الأيونيّة» يرجع إلى طاليس THALES (٦٢٤ ـ ٥٤٦ ق.م) الذى قال: إن «الماء» هو أصل وجود الموجودات إذ لاحظ أن الماء ضرورى لوجود الكائنات الحية، ويتكون جسم معظم الزواحف البسيطة من الماء. ولم يلبث أن انتقده وناقضه أنكْسيمندريس ANAXIMANDRES (٦١١ ـ ٥٤٧ ق.م) إذ لاحظ بحق أن الماء عنصر محدود بخواص معينة، ويستحيل أن يكون الماء أصلا لكل الموجودات. ونادى أنكسيمندريس بأن أصل العالم مادة لامتناهية ولا محدودة أطلق عليها اسم المادة الأولية غير المحدودة APEIRON ليعارضه ويناقضه ثالث الفلاسفة الطبيعيين الأيونيين أنكْسيمانس ANAXIMENES (٥٨٥ ـ ٥٢٨ ق.م) قائلاً: كيف يخرج المحدود من اللامحدود؟ إن أصل الحياة هو الهواء الذى تستحيل حياة الأحياء بدونه إذ يساعد على التنفس ويحمل المطر.

ولنلاحظ كيف عارض أنكسيمندريس طاليس قائلاً: كيف يخرج اللامحدود، وهو الأشياء المتعددة الأنواع والعناصر، من المحدود، وهو الماء[١]؟ ولننظر كيف

---

(١) كان الماء فى نظر أنكسيمندريس عنصرا واحدا إذ لم يكن اتحاد الأكسجين والهيدروجين فى الماء قد عرِفَ آنذاك.

عارض أنكسيمانس أنكسيمندريس بقوله: «كيف يخرج المحدود كشيء بعينه من اللامحدود وهو المادة الأولية غير المحدودة التى نادى بها أنكسيمندريس؟

وأدَّى تخبُّط الرواد الأوائل من مفكرى المدرسة الطبيعية الأيونية إلى أن يتواضع رابعهم، فيثاغورس PHYTHAGORAS (٥٧٢ ـ ٤٩٧ ق.م) ليطلب من المفكرين أن يكفكفوا غرورهم فى محاولتهم فهم سر وجود العالم إذ أن الحكمة الكاملة SO-PHIA لا يمكن أن تضاف إلى غير الآلهة، أما البشر فيكفى أن يتَّصفُوا بمحبة الحكمة PHILO SOPHIA وأقصى مايمكن أن يصلوا إليه هو أن يكونوا محبين للحكمة أو فلاسفة. واشتغل فيثاغورس بدراسة الحساب والأرقام والهندسة والموسيقى عساه أن يصل مع تلاميذه إلى أسرار هذا الاتساق والنظام الموجود فى العالم. ونرجح أن فيثاغورس قد تأثر فى ذلك بتخبُّط معاصريه من فلاسفة المدرسة الأيونية، وبتناقض آرائهم من جهة، كما تأثر بزيارته لمصر وغيرها من جهة أخرى، إذ اطلع على أفكار دينية تفسِّر العالم تفسيرا آخر.

بيْدَ أن أهم وأخطر فلاسفة اليونان فى نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد دون ريب هو هرقليطس (٥٤٠ ـ ٤٧٥ ق.م). ولم يعش هرقليطس فى قلب اليونان، بل عاش فى مدينة إفسس EPHESUS وهى مدينة امتزجت فيها أفكار الشرق الأوسط بأفكار الغرب اليونانى القديم. وتقع مدينة إفسس بالفعل على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط بآسيا الصغرى، وكانت تلتقى فيها مواصلات البر مع مواصلات البحر المتوسط من وإلى البلاد المعمورة قبل الميلاد. وكانت مدينة إفسس تخضع للحكم الرومانى، وكان الرومان يعتبرونها "مدينة حرة"، وهو اعتبار بالغ الأهمية يمنحه الرومان للمدن ذات الأهمية التى تقدم خدمات هامة للجيوش الرومانية أثناء تحركاتها الدفاعية والهجومية. ومن مقتضيات حصول مدينة ما، تحت النفوذ الرومانى، على لقب "المدينة الحرة" مزايا أبرزها هو عدم دخول الجيوش الرومانية إلى داخل هذه المدينة فيما عدا النزهة بها؛ فكانت مدينة إفسس تحظى بهذه

الميزة التى تكفل لها الاستقلال الذاتى تحت النفوذ الرومانى، مما جعلها مركزا للمواصلات بين الشرق والغرب، فنشطت تجارتها، وعظمت ثروات أهلها. وكان من مزايا المدينة الحرة، تحت النفوذ الرومانى، أيضاً عَدَمُ القبض على أى مجرم يحتمى بها. ولذلك تجمع داخل المدينة كثير من المجرمين وكثير من العاهرات، وكثير من السحرة والمشعوذين، الذين أحاطوا بصنم إلهة مدينة إفسس الذى كانوا يطلقون عليها اسم "أرطاميس" تحيط بها تماثيل أباطرة الرومان مثل كلوديوس ونيرون وهدريان وسفيروس، ومن حول هذه التماثيل عاهرات وبغايا يتنافسن فى غواية عُبَّاد وزُوَّار صنم أرطاميس، مما جعل لمدينة إفسس شهرة ذائعة فى الفساد وممارسة البغاء والعُهر والسحر والشعْوَذَة والإجرام.

كان هرقليطس ابن حاكم مدينة إفسس. وعندما آلت إليه مقاليد حُكْم المدينة تنازل عن حكمها إلى أحد إخوته ليتفرغ للزهد والتفكير والدراسة والتأمل، وكان ينعى دائما الفساد المستشرى فى مدينة إفسس.

كانت لهرقليطس طريقةعجيبة فى التعبير عن أفكاره أعلن عنها بنفسه إذ قال: «أنا لا أُفْصِحُ عن الحقائق ولا أخفيها. يكفى أننى ألمح إليها.» ولم يبق من كتابات هرقليطس إلا مائة وثلاثون شذرة، قام بجمعها وتحقيقها شليرماخر Schlieremacher عام ١٨١٧م.

ولقد عُرِفَتْ فلسفة هرقليطس بالغموض، ولكنه عبَّر بطريقته التلميحية تلك عن بعض المبادىء الفكرية الهامة التى ذاعت وترددت بين الفلاسفة والمفكرين، ولا تزال تتردد بينهم حتى اليوم.

قال هرقليطس: إن النار [١] حرارة النار، هى سر الوجود، ولو خلا العالم من الحرارة خلا من الموجودات. ونادى هرقليطس بمبدأ ثان هو مبدأ التغير والصيرورة وعبر هرقليطس عن ذلك المبدأ تعبيره الذى اشتهر بعده ، إذ قال : « أنت لا تنزل النهر مرتين لأن مياها جديدة تجرى من حولك دائما » ونادى هرقليطس بمبدأ ثالث

---

(١) يخطىء بعض دارسى الفلسفة عندما يعتقدون أن هرقليطس قد نادى بأن النار الناجمة عن الاشتعال هى أصل الوجود . إن هرقليطس يعنى حرارة النار لا النار ذاتها . ومن الواضح تأثر هرقليطس فى ذلك بالأفكار الفارسية المجوسية ، ولا عجب إذ كانت إفسس تقع فى مكان متوسط بين الإمبراطوريتين المتنازعتين المتحاربتين : الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية.

فى غاية الأهمية سيلعب دورا هاما فى صياغة الإنجيل المنسوب إلى يوحنا وهو الإنجيل الرابع من أناجيل العهد الجديد ، إذا نادى هرقليطس بمبدأ ثالث فى غاية الأهمية هو وجود عقل كلى يحكم العالم أطلق عليه اسم « اللوجوس Logos » . وسرعان ما انتشرت وشاعت وذاعت هذه « الكلمة » وأصبحت تفسيرا وتعليلا لوجود نظام ثابت دقيق مستقر ومستمر تجرى عليه حياة كل الأحياء وتستقر عليه كل نظم الكون. إذا قلت : لماذا تشرق الشمس من المشرق وتغرب فى المغرب؟ الجواب هو اللوجوس.، وإذا قلت: كيف يتحول الماء بالبرودة إلى ثلج؟ فالجواب هو «اللوجوس». وإذا كان الثلج يتحول بتوافر الحرارة إلى ماء، وإذا كان الماء يتحول بزيادة الحرارة إلى بخار يتكاثف إذا انخفضت الحرارة ليصبح ماء مرة ثانية فما ذلك كله إلا نتيجة عقل Logos يحكم العالم وتكمن فيه القوانين التى يسير بموجبها الوجود وكل ما فيه من ظواهر وألوان . واشتهرت « كلمة » اللوجوس شهرة بالغة بعد هرقليطس وأصبح يشار إليها بلفظ « الكلمة » إذا سألت : لماذا يسقط المطر فى بلد معين فى وقت معين من السنة ؟ يقولون لك : « يوجد لوجوس فى العالم يحكمه ويسيطر عليه » أو يكتفون بأن يقولوا : « الكلمة » . وهكذا

وعندما ظهرت الديانة اليهودية ، انتقل تاجر يهودى هو الفليسوف اليهودى « فيلو[1] Philo (٢٠ ق . م ٤٠ م) إلى مدينة الإسكندرية واطلع على الفلسفة اليونانيةالتى كانت رائجة بها ولم يجد صعوبة فى محاولته الشهيرة للتوفيق بين الدين اليهودى الذى ينادى بوجود الله الخالق للعالم وبين الفكر الفلسفى اليونانى إذ لاحظ أن الفرق إنما يعود إلى «الكلمة». إن الدور الذى يؤديه «اللوغوس» فى العالم هو الدور الذى تنسبه الديانة اليهودية إلى الله. والاختلاف إذا مرجعه إلى «الكلمة». الاختلاف إنما هو فى التسمية فقط. تقول الديانة اليهودية إن « الله » هو الذى خلق العالم وهو الذى يسيطر على نظامه المحكم الصنع، وتقول الفلسفة اليونانية إن للعالم عقل يدبره هو «اللوجوس» أو «الكلمة».

وعندما طلب الإمبراطور اليونانى، وعندما طلبت كنيسة المذهب الملكانى فى

---

(١) يضيف العرب حرف النون الساكنة إلى نهاية « فيلو » فأصبحت لديهم هى « فيلون » إذ أن اللسان العربى لا يميل إلى الوقوف على حرف علة كما أنه يميل إلى التنوين عند نطق أسماء الأعلام .

المسيحية التى كانت تدعو إلى تأليه المسيح عليه السلام، عندما طلب الإمبراطور وطلبت الكنيسة من ذلك اليونانى الذى كان يعيش بمدينة إفسس أن ينشئ إنجيلاً رابعا يصرح فيه بألوهية المسيح ، إذ راعهم أن الأناجيل الثلاثة المعتمدة لديهم ليس بها جملة واحدة تصرح بألوهية المسيح عليه السلام ، قدم يوحنا بن زبدى حوارى المسيح عليه السلام تفاصيل حياة المسيح إلى يوحنا اليونانى الذى كانت اللغة اليونانية هى لغته الأصلية وكان مطلعا على تفاصيل الفلسفة اليونانية ليتولى يوحنا اليونانى صياغتها فى إنجيل يحاول المناداة بألوهية المسيح عليه السلام. وكانت تجربة الفيلسوف اليهودى فيلو Philo ماثلة فى ذهن يوحنا اليونانى أثناء قيامه بمهمته فى صياغة الإنجيل الرابع. ومن عجيب الصدف أن بلدة إفسس، مسقط رأس هرقليطس صاحب فكرة «اللوغوس أو الكلمة» كانت هى خاتمة المطاف بالنسبة إلى يوحنا بن زبدى حوارى المسيح، بعد الإفراج عنه من منفاه الذى فرضه عليه الرومان، ليقضى شيخوخته بمدينة إفسس، ومن عجيب المفارقات أن يبدأ الإنجيل الإفسسى الرابع بداية فلسفية مدهشة، إذ تقول أول جملة بأول إصحاح من إنجيل يوحنا: «فى البدء كان الكلمة..» ألم يكن أصحاب الأناجيل الثلاثة السابقة لإنجيل يوحنا يعرفون أنه «فى البدء كان الكلمة» حتى جاء يوحنا ليفتتح إنجيله بهذه المقولة الفلسفية المستعارة من فلسفة هرقليطس اليونانية؟ ومن عجيب المفارقات أيضا وجود مقبرتين بمدينة إفسس يطلق على كل منهما «مقبرة يوحنا». ومن عجيب المفارقات أيضا أن إنجيل يوحنا رغم جمال أسلوب لغته اليونانينة غير المتاح ليوحنا بن زبدى، حوارى المسيح عليه السلام الذى لم تكن اليونانية هى لغته الأصلية ، رغم كل ذلك، لم يستطع إنجيل يوحنا أن يصرح بألوهية المسيح. لقد حام حول المعنى المطلوب منه إبرازه ولكنه لم يصرح به لجسامته دون ريب، وعندما يواجه النصارى اليوم بأن القرآن الكريم ينفى ألوهية المسيح عليه السلام، وعندما يطلب من النصارى أن يحاولوا الاستدلال بنص من الإنجيل ذاته كما هو بين أيديهم يصرح بألوهية المسيح يهرعون إلى إنجيل يوحنا وحده دون غيره من الأناجيل، ولكن من المفارقات الغريبة أن إنجيل يوحنا يصرح بأن المسيح رسول من رسل الله بأكثر مما يحاول الاقتراب من تأليه المسيح .

من عجيب المفارقات حقا أن إنجيل يوحنا ذاته به نصوص كثيرة تصرح بأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام رسول من رسل الله مثل قول المسيح عليه السلام :

« .... لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله وأتيت، لأنى لم آت من نفسى بل ذاك «أرسلنى» لماذا لا تفهمون كلامى . لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى» . (يوحنا ٨ : ٤٢ ـ ٤٣) . وأيضا نجد بإنجيل يوحنا ما يلى: «قالا أيضا للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك فقال إنه نبى» (يوحنا ٩ : ١٨).

والمفارقة الأعجب هى أن إنجيل يوحنا ، وهو الإنجيل الذى يهرع إليه النصارى فى محاولتهم العثور على نص يفيد ألوهية المسيح ليس فيه نص واحد يصرح فيه عيسى ابن مريم عليه السلام بأنه إله والنصوص التى يحاولون أن يستغلوها لذلك الغرض لاتفى به إطلاقا مثل: «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) إذ أن التوحد هنا إنما هى توحد فى القصد والغرض ألا وهو هداية الناس إلى الله سبحانه وتعالى. الله يحب أن يهتدى الناس إلى عبادته وحده سبحانه وتعالى ، والمسيح عليه السلام يريد أن يستجيب الناس لدعوته إلى عبادة الله وحده سبحانه وتعالى . وعندما تقول لصاحبك: «أنا وأنت واحد» ، فالمعنى المتبادر إلى الأذهان أنكما واحد فى القصد والهدف دون ريب.

ولكن بدء بداية إنجيل يوحنا بقوله: «فى البدء كان الكلمة» يدل دلالة واضحة على تأثر كاتب هذا الإنجيل بالفلسفة اليونانية بوجه عام ، وبمحاولة فليون اليهودى بوجه خاص ، وبفلسفة هرقليطس فيما يتعلق باللوغوس أو «الكلمة» على نحو ماأوضحناه بوجه أخص، وهى الأمور التى تؤكد اتصال حلقات سلسلة الفكر الإنسانى عبر الأجيال والقرون جيلا بعد جيل ، وقرنا من الزمان بعد قرن.

ولو ضربنا صفحا عن سفسطة السوفسطائيين التى تصدى لها سقراط Socrates (٤٧٠ - ٣٣٩ ق.م) بجهود عقلية مخلصة رائعة لينقذ القيم الإنسانية والأخلاق من التردى فى وهاد الشك والمغالطة فى الحوار نجد أن سقراط نفسه قد دفع حياته ثمنا للسباحة ضد التيار، إذ حوكم سقراط بتهمة التجديف على

آلهة اليونان كما شادها خيال هوميروس، وتقبل سقراط تنفيذ الحكم عليه بالموت متجرعا السم احتراما للقانون كما أعلن ذلك بنفسه ، أو تفضيلا للموت على حياة تحكم مقدراتها آلهة من صنع الخيال .

ونصل فى تتبعنا لتطور الفكر اليونانى إلى أفلاطون Plato (٤٢٨-٣٤٨ق.م) الذى صاغ نظريته الشهيرة المعروفة باسم « نظرية المثل » ليربط المحسوس بالمعقول ، فى محاولة لتفسير العلم والعالم ، داعيا إلى وجود نفس كلية بسيطة تعقل المثل المجردة البسيطة، وإذ رجع أفلاطون بوجود هذه النفس الكلية البسيطة إلى ماقبل وجود البدن، فلقد كفل لها من هذين الوجهين خلودا لا ينقضى من حيث إن البسيط لا ينحل، وما كان موجودا بذاته قبل الجسم خليق أن يوجد بذاته من بعده، فإذا اتجه الفكر إلى عالم الأخلاق والقيم وما يجب أن يكون عليه سلوك البشر، كان التعلق بالخير فى ذاته لذاته ، وكان التمسك بالقيم السليمة ضرورة لافكاك منها، ولو بحثنا عن الجمال كان الجمال فى أى من الصور تبدى هو هو صنو الجمال فى أى من الصور الأخرى عندما يتفق مع مثال الجمال الذى صاغه العقل بما يجب أن يكون عليه الجمال، علة الجمال المتفرق فى كل الأشياء التى تبدو لنا جميلة ولو بحثنا عن الحق كان الواجب هو النفور من الباطل، والتعلق بالحق مقصدا أسمى للإرادة فى نزوعها إلى الكمال والصلاح والفلاح. ولئن نجح أفلاطون فى الوصول بمثالية وعقلانية وخيرية سقراط إلى أقصى آمادها، فإننا نجده فى مجال الألوهية بالغ العجز عن الوصول إلى تصور صحيح لله أكثر من تصوره للإله كمثال من مثل الخير، يتأمل العالم دون أن يعنى أو يتصل به ، وهو تصور هزيل غير مقبول ، لم يفلح فى زحزحة التصور الخيالى الهوميروسى لآلهة اليونان ، ويؤكد هذه الحقيقة الواضحة استمرار الشعب اليونانى بعد أفلاطون كما كان قبل أفلاطون فى عبادة آلهة الأولمب كما رسمها خيال هوميروس فى الإلياذة والأوديسة: آلهة عديدون، لهم صورة البشر، يعتور حياتهم كل ما يعتور حياة البشر فيما عدا أن دماء أخرى تجرى فى عروقهم فتكفل لهم الخلود، وأجنحة تعلو أجسادهم فتكفل لهم خفة الحركة فوق الأرض وفوق الماء وفوق أعالى الأجواء !

ولبيان تخبط وتضارب الفكر الفلسفى اليونانى نتأمل ما فعله أرسطو Aristotle (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) بنظرية المثل هذه التى نادى بها أفلاطون .

قال أرسطو: إن المادة جزء من المحسوسات فلا يوجد إنسان مثلا إلا فى لحم وعظم وسائر مكونات جسم الإنسان، ولو كانت المثل مجردة من المادة لكانت معارضة لطبيعة الأشياء التى هى مثلها ولو افترضناها متحققة فى المادة صارت المثل محسوسة جزئية، لاعقلية كلية، أى أنها تصبح فاقدة لمقومات المثل عند أفلاطون. وهنالك أيضا من التصورات الذهنية مالا يمكن تصوره دون أن يكون مجسما فى مادة كالأشكال الرياضية مثل المثلث أو الدائرة أو المستطيل أو المربع إذ يستحيل وجود أى من هذه الأشكال فى غير جسم مادى يجسمها ويجسد شكلها ، وكذلك الحال بالنسبة للألوان إذ لا يمكن تصور البياض إلا فى شئ محسوس أبيض ، ولا يمكن تصور السواد إلا فى شئ محسوس أسود .

وهكذا ، وفقا لرأى أرسطو المناقض لرأى أفلاطون، نرتقى من المحسوسات لنصل إلى المعقولات التى يطلق عليها أفلاطون اصطلاح «المثل» ، ولا تتحقق لنا المعرفة كما ينادى أفلاطون بمجرد التحليق الذهنى فى عالم المثل لندرك ونفهم المحسوسات بيد أننا نجد لدى أرسطو رأيا يعرف بنظرية المحرك الأول يتعلق بنظرية أرسطو بضرورة وجود «صانع» لهذا العالم يحرك الكون وفقا لنظام محكم لا يصعب على الإنسان ملاحظته بوضوح . واكتشف أرسطو استحالة تعدد المحركات ، فلابد فى نظره من الوقوف عند «محرك أول» أعطى للكون حركته ونظامه ولقد رحب الموفقون بين الدين والفلسفة بهذه الفكرة وقالوا مثلما قال المرحبون بفكرة وجود عقل كلى أو «لوجوس» فى العالم . قالوا إن الفرق أنما هو فى التسمية: «الصانع» الذى خلق العالم هو الله سبحانه وتعالى . والمحرك الأول هو الله سبحانه وتعالى .

ويهمنا أن نشير إلى التناقض الواضح بين أقوال المفكرين والفلاسفة اليونان. لم يتفق أحدهم مع الآخر أبدا. وهذا طبيعى جدا . إن فيلسوفا من الفلاسفة لايمكن أن يعد فيلسوفا مالم يكن له رأى مغاير للآخرين السابقين عليه. وليس هكذا الشأن بالنسبة لأمور الدين وأسس العقيدة الدينية التى لاتقبل بطبيعتها اختلافا أو تناقضا أو

محاولات للتوفيق بين نظريات متعارضة. ويهمنا أيضا أن نشير إلى قصور العقل البشرى دون عون من الله سبحانه وتعالى فى الوصول إلى الصواب بشأن العقيدة المتصلة بالله، ونشير إلى فضل الله وكرمه بالنسبة للبشر إذ علم الله آدم الأسماء كلها أى أتاح الله لسيدنا آدم عليه السلام «المعرفة» وعندما أخطأ سيدنا آدم عليه السلام، تلقى من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.

وإذا كان بعض الناس يهتمون بدارسة الفلسفة، فإن دراستهم للفلسفة شأنها شأن علم الكلام وشأن التصوف يستحيل على أى دراسة منها أن توصل وحدها إلى المعرفة الصحيحة بالله التى يلزم الناس أن يستعينوا بشأنها بهدى الله، وهدى كتب الله، وهدى رسل الله اعتمادا على وحى الله إلى من يختارهم ويصطفيهم من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . يمكن التفرج على جهود الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفين دون الإيمان بما يقولون بشأن العقيدة الدينية التى تعتمد على الوحى الإلهى.

الوحى الإلهى

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم ۞ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلي صراط مستقيم ۞ صراط الله الذى له ما في السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ .[١]

الوحى لغة ـ كما عرفه الشيخ محمد رشيد رضا [٢] ـ هو الإعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره. ولقد تم تخفيف تضعيف الياء الأخيرة وسكنت الحاء قبلها.

ومنه يتضح أن الوحى لغة هو مطلق الإعلام غير مقيد بمتلق أو بمرسل، كما أنه غير مقيد بطريقة معينة من طرق الإعلام، فقد يكون الوحى بمعناه اللغوى عن طريق الكلام أو الكتابة أو بأى طريقة أخرى كالرسم أو الرمز أو التعريض أو التلميح أو الإيماء أو أى إشارة مرئية أو مسموعة بحيث تصل الرسالة من المرسل إلى المستقبل موحية باعتقاد معين أو باتخاذ تصرف معين. وقد يكون مصدر الوحى بمعناه اللغوى إلهاما نابعا من ذات الإنسان صادقا أو كاذبا، نافعا أو ضارا، وإذا كان الوحى كاذبا أو ضارا سمى وسوسة .

ويقر علماء النفس المحدثون بوجود الإلهام inspiration أو الحدس intuition أو الإيحاء suggestion بما فى ذلك الإيحاء الذاتى autosuggestion,or:self-suggestion ويطلقون على الطريقة التى يحصل بها الإنسان على هذا النوع من المعرفة طريقة الاستبطان الذاتى أو التأمل الذاتى introspection وهى كلها طرق اعتمدها علم النفس الحديث كمصادر للمعرفة.

---

(١) سورة الشورى : ٥١ – ٥٣.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى – ص٧ – ط٧ – الزهراء للإعلام العربى.

وبعض عناوين الكتب المشهورة تستخدم كلمة «الوحى» مثل كتاب «وحى القلم» للرافعى أو «وحى الرسالة» للزيات دون أن يزعم أصحابها أية مزاعم دينية. إنهم يستخدمون كلمة الوحى بمعناها اللغوى الواسع الذى ألمحنا إليه فيما سبق، وهو مختلف تماما عن الوحى بمعناه الشرعى . إن كلمة « الوحى » بالمعنى اللغوى الواسع كانت ولا تزال مستخدمة فى النثر الأدبى، كما أنها كانت ولاتزال مستخدمة فى الشعر العربى، ومن ذلك قول الشاعر:

نظرت إليها نظرة فتحيــــــرت دقائق فكرى فى بديع صفاتها

فأوحى إليها الطرف أنى أحبهــا فأثر ذاك الوحى فــى وجناتهــا

ومنه يتضح أن الوحى بمعناه اللغوى قد يكون إلهاما نابعا من الذات أو صادرا من الآخر أو إليه إذا كان نافعا خيرا وهو وسوسة إذا كان شريرا فاسدا .

أما الوحى بمعناه **الشرعى** فمن الضرورى أن يكون صادرا عن الله سبحانه وتعالى إلى من اختارهم الله من البشر ذوى النفوس التى فطرها الله وخلقها قادرة مهيأة أن تستقبل هذا الوحى الإلهى كما يتمثل ذلك الوحى الإلهى فى ذلك الوحى الإلهى من الله إلى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام فى غالب وأعم صور الوحى الإلهى .

كما أن الله سبحانه وتعالى قد أنبأنا فى القرآن الكريم عن قدرته سبحانه وتعالى على إزجاء الوحى إلى غير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كما يتبدى ذلك فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ (١)

وقد يكون الوحى الإلهى صادرا من الله سبحانه وتعالى إلى غير العاقل بمعنى الإلهام الإلهى الذى أودعه الله فى التصرف الغريزى للكائنات غير العاقلة كما صرح الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله : ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون** ﴾ (٢)

---

(١) سورة القصص : ٧

(٢) سورة النحل : ٦٨

ونرى النحل أيها القارئ الكريم يتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما نعرش . الوحى الإلهى ظاهر واضح لا سبيل إلى إنكاره إلا بالمعاندة السافرة .

وقد يكون الوحى الإلهى صادرا من الله إلى الملائكة كما فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ (١)

وهنالك وحى شيطانى بالنسبة إلى أن مصدره هو الشياطين عندما يوحى بعض الشياطين إلى بعضهم الآخر ، أو عندما يوحى الشياطين إلى بعض أوليائهم مبعدين لهم عن طريق الهداية والخير ، مزينين لهم طريق الغواية والشر ، كما يتبدى ذلك فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾ (٢) وهو الذى يتضح أيضا فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾(٣)

ومنه يتضح أن نوعية الوحى تتوقف على مصدره بصورة أساسية كما تتوقف على متلقيه أيضا ومدى قدرته وقابليته لتلقى الوحى . والوحى الإلهى الذى نجد آثاره فى الكتب السماوية كما أنزلها الله سبحانه وتعالى إلى المصطفين من الأنبياء والمرسلين وآخرها وخاتمها هو القرآن الكريم يتميز عن غيره من أنواع الوحى ، ويطلق عليه اصطلاح «**الوحى الإلهى الشرعى الجَلِىُّ**» وهو يطلق بوجه خاص على القرآن الكريم باعتبار أن القرآن الكريم هو آخر وأَتم وأصح صور وحى الله سبحانه وتعالى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين . وعندما يقال الوحى الإلهى دون تحديد له يقصدون القرآن الكريم . ويطلق اصطلاح الوحى أيضا على الطريقة التى نزل بها القرآن الكريم كما يطلق أيضا على الملك الذى نزل بالوحى على سيدنا محمد ﷺ (٤) وهو جبريل عليه السلام .

---

(١) سورة الأنفال : ١٢ .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ١٢١ .

(٣) سورة الأنعام : من الآية ١١٢ .

(٤) الدكتور محمد الحسينى هاشم : الوحى الإلهى ــ ص٥ ــ منشورات المكتبة العصرية .

بدء الوحى المحمدى

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا* ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما* رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما * لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ﴾ (١)

إن بدء الوحى المحمدى ظاهرة هامة كل الأهمية، وهى جديرة بالدراسة(٢) والتأمل. وتحدثنا كتب السيرة النبوية الشريفة عن كيفية بدء الوحى القرآنى الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فتجمع كلها على أن النبى ﷺ كان يتعبد فى غار حراء خارج مكة. ويوم الاثنين الموافق لليوم السابع عشر من شهر رمضان ، عام ٦١١ بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، وكان النبى عليه السلام قد بلغ الأربعين من عمره نزل عليه الوحى إذ رأى عليه السلام جبريل عليه السلام يظهر أمامه.

وقال له جبريل عليه السلام : اقرأ.

قال محمد ﷺ : ما أنا بقارئ . فضمه جبريل مرة ثانية وثالثة طالباً منه أن يقرأ ، وفى المرة الثالثة قال له جبريل : **﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق *اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم *علم الإنسان مالم يعلم ﴾** (٣) .

أمى لا يعرف القراءة والكتابة ، ويخاطبه ملك الوحى جبريل عليه السلام أول ما يخاطبه طالبا منه أن يقرأ

---

(١) سورة النساء ١٦٣ ـ ١٦٦!

(٢) إذ تصح بداية الوحى المحمدى، وهى بإذن الله صحيحة، يصح الوحى المحمدى كله ، وهو بإذن الله ، صحيح كله.

(٣) سورة العلق : ١ ـ ٥

ويخبر النبى الأمى عليه الصلاة والسلام ملك الوحى جبريل عليه السلام أنه ليس بقارئ معبرا بذلك عن عدم معرفته بالقراءة والكتابة ولكن جبريل عليه السلام يغطه ثم يغطه ثم يغطه ، أى أنه كان يضغطه إلى صدره ثم يطلقه ثلاث مرات لتثبيت جنانه ، وللحفاظ على هدوء نفسه واستواء وجدانه ، وليستيقن ﷺ من أن ما يجرى له من حدث جلل غير مألوف فى عالم البشر حقيقة وليس وهما ولا خيالا. وفى كل مرة كان جبريل يكرر عليه الأمر الإلهى: اقرأ، لتكون الآيات القرآنية الخمس من صدر سورة العلق هى أول ما يقرأ خاتم الأنبياء ﷺ من القرآن الكريم .

وليس الحوار التمهيدى الذى جرى بين الروح الأمين جبريل عليه السلام وبين سيدنا محمد ﷺ قرآنا ، ولكنه سيرة [1] نبوية شريفة ، إذ بدأ نزول الوحى القرآنى الكريم بعد الغطة الثالثة. إن الله سبحانه قادر أن يحكم آيات كتابه العزيز، القرآن الكريم.

كان النبى ﷺ موجودا بغار حراء يتعبد ، أو يتحنث . كيف كان ﷺ يتعبد أو يتحنث ؟ ما هو الدين الذى كان عليه السلام يتعبد على أساسه ؟

من الثابت أن محمدا ﷺ لم يكن قد صدر عنه أو عرف عنه الانتماء إلى أى دين من الأديان المعروفة آنذاك وهى: عبادة الأصنام، واليهودية، والمسيحية، وديانات الشرق القديم كالمجوسية أو البوذية، أو الزرادشتية، ولوكان عليه السلام قد صرح أو عرف عنه اتباع دين من هذه الأديان لذاعت هذه الحقيقة وشاعت وقد جاء بدين جديد لم يكن معهودا من قبل . أفلا يقول المسيحيون على سبيل المثال إن «القديس بولس» كان قبل انضمامه إلى المسيحية يهوديا يدعى « شاول » وكان من أشد اليهود تحاملا على النصارى ثم اعتنق المسيحية؟ ولقد كان معروفا أن ورقة بن نوفل وقس ابن ساعدة الإيادى وأمية بن أبى الصلت وغيرهم من العرب قد اجتنبوا عبادة

---

(١) هذه ميزة من أكبر وأهم مزايا القرآن الكريم ، إذ أن الفصل تام حاسم بين كلام الله سبحانه وتعالى كقرآن متمايز عما ليس قرآنا، متمايز عن الحديث القدسى ، متمايز عن الحديث النبوى الشريف ، متمايز عن أى كلام يقوله جبريل للنبى دون أن يكون قرآنا ، متمايز عما يكتبه عمرو بن هشام أو غيره من كتاب السيرة النبوية . لا يختلط بالقرآن الكريم بفضل الله وعنايته أى كلام لم يرد الله به أن يكون متضمنا بالقرآن الكريم، وهى الميزة التى تفتقر إليها كتب سماوية سابقة زمنيا على الإسلام .

الأصنام. وكان معروفا أن ورقة بن نوفل قد اعتنق المسيحية وكانت لديه معرفة بالتوراة، وإن لم يكن معروفا أى مذهب من مذاهب المسيحية كان ورقة بن نوفل يعتنق: هل كان مذهبه نسطوريا يعترف ببشرية المسيح ويصر على الطبيعة الواحدة، أم كان مذهبه ملكانيا يميل إلى تأليه المسيح وإلى المنادة بالطبيعتين؟ وكان قس بن ساعدة الإيادى معروفا بالخطابة، ولم يكن انتماؤه إلى عقيدة دينية معينة معروفا شأنه فى ذلك شأن أمية بن أبى الصلت كان كل منهم يأمل أن يكون نبى الله المنتظر ولكن كيف السبيل إلى النبوة وهى من اختيار واصطفاء الله وليست من اختيار البشر؟

كل ذلك كان معروفا ، ولم يكن معروفا أن نبى الإسلام عليه الصلاةوالسلام كان يتبع دينا من الأديان قبل بدء نزول القرآن الكريم. كان المعروف عن نبى الإسلام ﷺ على النقيض من ذلك تماما، كان معروفا عنه ﷺ أنه لم يكن يطمئن بفطرته السليمة إلى صحة أى دين من الأديان التى كانت موجودة قبل نزول القرآن الكريم. ولو كان ﷺ قد أظهر ميلا أى ميل لأى دين من الأديان التى كانت موجودة قبل نزول القرآن الكريم لذاع ذلك الخبر وانتشر أيما انتشار.

حتى سن الأربعين ، كان محمد ﷺ يطلق عليه لقب الأمين . وكان ﷺ معروفا بالأمانة وحسن الخلق وسواء الفطرة وكمال العقل .

تنازع أهل مكة عند إعادة بناء الكعبة : من منهم يضع الحجر الأسود فى مكانه من البناء ؟ وشرعوا فى اللجوء إلى السلاح لحسم الخلاف، ثم اتفقوا على أن يحكموا فيما شجر بينهم من خلاف أول من يدخل عليهم الكعبة . واطمأنت نفوسهم أن كان أول من دخل عليهم الكعبة هو محمد بن عبد الله فقالوا : هوذا الأمين!

وكان الحل الذى ارتآه محمد بن عبد الله ﷺ حلا عبقريا مرضيا للجميع، يدل على رجاحة العقل وسداد الفكر وسلامة النظرة إلى الأمور التى تحار فى مثلها الأنظار. بسط ﷺ رداءه ووضع فيه الحجر الأسود ، ثم دعا واحدا من كل قبيلة من القبائل المتنازعة، فأخذوا بأطراف الرداء ورفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه من البناء

تناوله محمد بن عبد الله عليه السلام بيده الشريفة ليضعه فى مكانه . ولهذا الحدث دلالاته التى لا ريب فيها، ونضرب صفحا عن بيانها لظهورها لكل ذى عيان.

واختارته من بين رجال مكة كلها السيدة خديجة بنت خويلد ليتجر لها فى أموالها، وكانت سيدة بالغة الثراء، ولن نتحدث عن تفاصيل سيرته أثناء إدارته تجارتها، إذ أن ذلك مبسوط فى كتب السيرة النبوية الشريفة، ولكن اختيار السيدة خديجة بنت خويلد لمحمد بن عبد الله من بين رجال مكة جميعا ليدير لها تجارتها اختيار لا يخلو من معنى ودلالة زادهما اختيارها له بعدئذ زوجا من بين رجال مكة جميعا دلالة فوق دلالة.

وحسبنا هنا أن نشير إلى تلك الخطبة الوجيزة التى ألقاها عمه أبو طالب مشيدا بمناقب ابن أخيه ، قال : « الحمد لله الذى جعلنا ذرية إبراهيم ونسل إسماعيل وجعل لنا بيتا محجوجا وبلدا حراما وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن محمدا بن عبد الله ابن أخى هو من لايوازن به فتى من قريش إلا رجح ابن أخى عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك. وما أحببتم من الصداق فعلى » أمثل هذا الرجل، محمد بن عبد الله يتهم فى قواه النفسية بعد نزول القرآن الكريم عليه؟! ألا فليخسأ المفترون.

ولم يكن أهل مكة قد جربوا عليه ﷺ كذبا قط كما أقروا بذلك واعترفوا بألسنتهم عندما صعد عليه السلام جبل الصفا بعد نزول سورة المدثر وبعد نزول آيتين بسورة الشعراء جاء بهما : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين* واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [1] فصعد ﷺ جبل الصفا ونادى أهله وعشيرته، وإذ اجتمعوا إليه قال لهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم تصدقوننى ؟» قالوا : « نعم . ماجربنا عليك كذبا قط .» وهكذا انتزع ﷺ من بين شفاه قومه الذين اجتمعوا إليه اعترافا صريحا بأنه الصادق الأمين الذى لم يجرب عليه أحد من بنى قومه كذبا قط . وهذا تمهيد حكيم ومدخل سليم إلى مايخبرهم به إذ قال لهم عليه الصلاة والسلام : « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

ولننظر جواب المكذبين إذ انبرى له عمه أبو لهب فقال له: «تبا لك! ألهذا جمعتنا؟» ولننظر انتقاله ﷺ من الترهيب إلى الترغيب إذ قال: «ما أعلم إنسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى ربى أن أدعوكم إليه» وبقية الحديث والحدث معروفة. ولننظر استجابة المهتدين الذين لبوا دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين متمثلة فى جواب على بن أبى طالب إذ قال من بين الجمع الحاشد: «أنا يارسول الله عدتك. أنا حرب على من حاربت» .. وتتكامل جوانب الموقف منذرة بصراع رهيب بين من كذب وعصى، وبين من آمن واهتدى إذ يتحول أبو لهب نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه ليقول له «تبا لك ولمن اتبعت»! وكأنما كان على بن أبى طالب يحس إحساسا قويا بأن دعوة ابن عمه، محمد ﷺ دون تبليغها وبلوغها حروب وكروب. ولقد نذر الإمام على بن أبى طالب نفسه منذ ذلك اليوم لخوض تلك الحروب ودفع تلك الكروب منذ بدء بداية الدعوة المحمدية ليكون كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين .وتتكامل الصورة أبعادا أكثر وأكثر لتبلغ غاية الاكتمال بنزول الوحى القرآنى الكريم تأييدا لخاتم الأنبياء والمرسلين ودحضا لموقف أبى لهب المكذب المنكر لرسالة النبى الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام نزل قول الله سبحانه وتعالى فى سورة المسد : ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب* ما أغنى عنه ماله وماكسب * سيصلى نارا ذات لهب* وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد** ﴾ [1]

ولقد وقع بيدى كتاب صدر باللغة الإنجليزية عنوانه هو :

English Proverbs Explained

By : Ronald Redout & Cliford Wetting

أى : الأمثال الإنجليزية ومناسباتها وأسبابها ، وهو من تأليف : رونالد ريدوت وكيلفورد ويتنج . وتحت رقم ٣٢٧ بصفحة ٩٢ من الكتاب المذكور ، أورد المؤلفان المثل الإنجليزى التالى:

"If the mountain will not come to Mohamet, Mohamet must go to the mountain. "

---

(١) سورة المسد : ١ : ٥

وترجمتة كما لا يخفى هى : « إذا لم يأت الجبل إلى محمد، فليذهب محمد إلى الجبل » والأعجب من المثل هو شرح المثل كما أورده المؤلفان كما يلى: «إن محمدا لم ينحن أمام المستحيل . لقد انتزع النصر من براثن الهزيمة. إن العرب كانوا يحاذرون أن يؤمنوا بتعاليم محمد حتى يأتيهم بمعجزة ، فأمر محمد جبل «الصفا» الموجود بالقرب من مكة أن يأتى إليه، وعندما لم يأت الجبل، قال محمد: إن الله رحيم بنا. لو كان الجبل قد أطاعنى لكان انهار علينا وحطمنا. وبناء عليه سأذهب أنا إلى الجبل وأشكر الله أن كان رحيما بنا». وينتهى بذلك شرح المؤلفين المسيحيين لمناسبة هذا المثل من الأمثال الإنجليزية .

محاولة ساذجة من جانب المسيحيين فى الغرب لتصوير نبى الإسلام كمجرد مخادع بارع Witty Person جازت أكاذيبة وخدعه على شعب ساذج . ويصوغون أكاذيبهم هذه أمثالاً Proverbs ليخدعوا شعوبهم وليصدوهم عن تقبل دعوة الإسلام الصادقة باختراع الوقائع والأحداث الكاذبة اختراعا . إنهم يروجون بين شعوبهم مثل هذه الأكاذيب ويجرون بعضها مجرى الأمثال إيغالا منهم فى التضليل والضلال.

عندما ننسب إلى المسيح عليه السلام قولا أو فعلا من الأفعال لا ننسب إليه عليه السلام هذا القول أو ذلك الفعل إلا استنادا على مصادر موثوق بها معترف بها لدى النصارى كأن يكون ما ننسبه إلى المسيح عليه السلام مذكورا فى التوراة أو الإنجيل أو أصدق المراجع كدوائر المعارف التى جمع مادتها علماء المسيحية أنفسهم أو ما شابه ذلك، وها هم أولاء يخترعون الأحداث ويزيفون الأقوال التى يحاولون نسبتها إلى رسول الإسلام العظيم، خاتم الأنبياء وأعظم العظماء شاء المزيفون أم أبوا.

لقد شهد جبل « الصفا » اعترافا صريحا من أهل مكة أن محمدا لم يجرب عليه كذب قط . وما ذكره هذان المؤلفان شرحا لهذا المثل هو الكذب بعينه ، وهو . لا يستطيعان أو يستطيع غيرهما البرهنة على صحته . ونقول لهما كلمتين لا ثالث لهما فى جملة واحدة نقول لهما : هاتوا برهانكم .

إن شأن هذين الكاذبين شأن أبى لهب. لا يغنى عنهما مالهما وماكسبا.

سيصليان نارا ذات لهب . كما سيصلى النار ذات اللهب كل من يصدق أكاذيبهما على نبى الإسلام عليه السلام دون سند أو دليل حقيقى.

ونعود إلى دراسة وتأمل كيفية بدء نزول الوحى القرآنى الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين . ولقد اتضح لنا بما لايدع مجالا للشك أنه عليه السلام كان حتى بلوغ الأربعين من العمر معروفا بأنه ﷺ هو الصادق الأمين .

ماذا فعل ﷺ فور أن تلقى بداية الوحى القرآنى الكريم خمس آيات بصدر سورة العلق ؟

لقد وعت ذاكرته وانطبع فى قلبه كلام الله بإرادة ومشيئة الله : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . ولم يكد جبريل عليه السلام ينصرف عن رسول الله ﷺ حتى أسرع عليه السلام عائدا إلى بيته، وقال لزوجته فور دخوله: «زملونى. زملونى» وبعد أن هدأت نفسه قص ﷺ ما حدث له بغار حراء ، وهو حدث لم يحدث لأى رجل غيره من العرب قط .

ماذا قالت له زوجته ، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد فور أن قص عليها قصة ماحدث له بغار حراء وأخبرها أنه هو نفسه يعجب من شأن هذا الحدث الفريد الذى لم يحدث له مثيل لأحد من قبل؟ قالت زوجته قولة حق تعبر بصدق عن حقيقة شأن هذا الحدث الفريد الذى لم يجربه أحد من قبل، ولن يخبره أحد من بعد، قالت: «والله مايخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الدهر» .

إيمان بالله وبصدق الله فيما أوحاه إليه الله وبيان لخصال رسول الله الحميدة الرشيدة . ولكن الرغبة فى التمحيص والاستئناس برأى الغير كانت ضرورية لازمة لمزيد من اليقين واطمئنان القلب، مثلها فى ذلك مثل سيدنا إبراهيم الذى صوره الله سبحانه وتعالى فى قوله :

﴿**وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن**

ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (١)

وانطلقت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومعها رسول الله ﷺ إلى ابن عمها، ورقة بن نوفل ليستفتياه فى هذا الحدث الفريد، حدث نزول وحى من الله، كلاما رائعا راقيا ، جميلا صافيا على قلب محمد ﷺ يقول فيه الله سبحانه وتعالى : **﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم﴾** .

من عساه أن يكون ورقة بن نوفل هذا ؟ وماذاسيقول لهما إزاء هذا الحدث الفريد المنقطع النظير ؟

كان ورقة بن نوفل هو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبى ﷺ. وعندما ذهبا إليه، كان ورقة بن نوفل شيخا ضريرا . وكان قد اتصل بالنصرانية واطلع على التوراة، وكان يعيش خارج مكة التى كان أهلها يفضلون عبادة الأصنام عن تعقيدات المسيحية ذات الأقانيم. ولو وضعنا فى اعتبارنا أن التوراة والإنجيل كانا يتضمنان البشارة بمجئ خاتم الأنبياء والمرسلين بعد المسيح عليه السلام، نستطيع أن ندرك مدى صدق جواب ورقة بن نوفل عما كانا فيه يستفتيان . ولا ريب أن ورقة بن نوفل قد استمع من محمد ﷺ ما أوحاه إليه ربه : **﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم ﴾** . وكان جواب ورقة بن نوفل أن قال: «والذى نفس ورقة بيده، إن هذا هو الناموس الأكبر الذى أنزله الله على موسى. ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك.» قال له رسول الله ﷺ : «أومخرجى هم؟» قال ورقة : «لم يأت رجل بمثل ما أتيت به إلا عودى. وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا.» ولم يلبث ورقة بن نوفل أن مات بعدها بقليل.

أطمأن النبى عليه السلام ، واطمأنت معه زوجه السيدة خديجة رضى الله عنها وأرضاها إلى صدق الوحى الإلهى الذى تلقاه محمد ﷺ.

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٠

ولنتأمل ولنتدبر تلك الآيات البينات التى وردت بصدر سورة العلق ، وكانت أول الوحى القرآنى الإلهى المنزل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ .

إن أول كلمة بأول آية هى كلمة « اقرأ » وهى أمر بالقراءة صادر من الله سبحانه وتعالى إلى أمى لا دراية له بالقراءة والكتابة كما تعارف عليهما الناس مُذْ عرف الناس القراءة والكتابة حروفا فى كلمات يخطها من يعرف الكتابة ليقرأها من يعرف القراءة ، ويستحيل على من لم يتعلم القراءة على ذلك النحو المألوف أن يقرأ.

ولو كان محمد ﷺ قد اختلف إلى معلم علمه القراءة والكتابة لعرفت هذه الحقيقة عنه خصوصا بعد أن كلفه الله بالرسالة وأصبح أشهر إنسان على وجه البسيطة منذ بدء الرسالة المحمدية وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كيف يقرأ أمى لا يعرف القراءة والكتابة ؟

إنه ﷺ لن يقرأ حروف كلمات خطها البشر بأقلامهم، ولكنه سيقرأ قرآنا لم يقرأه أحد قبله، ولم يكتبه إنسان بقلمه، بل سيقرأ كلام الله مباشرة يتنزل إليه من الله سبحانه وحيا إلهيا، فما حاجته إلى معرفة القراءة والكتابة كما تعارف عليهما البشر؟

بل إن عدم معرفته القراءة والكتابة أبلغ فى الإعجاز وأدل على الصدق من معرفته بهما دون ريب، إذ أن عدم معرفته بالقراءة والكتابة ناف نفيا قاطعا أن يكون القرآن من كتابته هو أو من كتابة غيره من البشر.

إنه ﷺ سيقرأ قرآنه باسم ربه الذى خلق. خلق الإنسان من علق.

ومن ذا الذى يستطيع بسهولة أن يتصور أن هذا « الإنسان»[1] الذى علمه الله إذ علم آدم الأسماء كلها ، وأتاح له الله إمكانية معرفة القراءة والكتابة من دون المخلوقات كلها إنما خلق من منى يمنى فهو فى حقيقة أمره، كما أثبتت العلوم الحديثة باستخدام آلات الإبصار ذات القدرة العالية على التكبير إنما نشأ وخلق بإرادة الله سبحانه وتعالى وبقدرته من حيوان منوى صغير. وبدون هذا الحيوان المنوى

---

(١) كلمة « الإنسان » هنا تعنى الإنسان كنوع يضم أجناس البشر ، وهو المعنى الذى ورد بالآية الكريمة « خلق الإنسان من علق » وكذلك فى قوله تعالى » « علم الإنسان ما لم يعلم » أليس غريبا حقا أن تتحدث الآيات الأولى عن «الإنسان عموما» على هذا النحو؟!

الصغير يستحيل خلق كائن بشرى استحالة تامة كما أثبت ذلك العلم الحديث بعد أن تقدمت بالإنسان علوم العصر الحديث. وحتى لو نظرنا إلى «أطفال الأنابيب» نجد أنهم يستحيل وجودهم بالأنابيب دون حيوانات منوية.

والخطاب القرآنى الكريم فى أول آية أنزلها الله بالقرآن الكريم إنما هو خطاب لمفرد أوحد يقول له الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ وأول صفة لربه سبحانه وتعالى يصف الله ذاته بها هى أنه سبحانه وتعالى هو «الذى خلق» . ومع أن الله هو خالق الكائنات كلها إلا أن الله قد أفرد الإنسان بنعمة خلق الله له بالآية الثانية بذات السورة الكريمة « خلق الإنسان من علق» . ولا يمنع ذلك بداهة من أن الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين وهو سبحانه وتعالى خالق المخلوقات جميعها. ولكن تخصيص الإنسان بالذكر هاهنا إنما هو تكريم للإنسان، أشرف المخلوقات وأكرمها عند الله سبحانه وتعالى.

ها هى ذى آيات وجيزة تتضمن كل هذه المعانى الدقيقة وتتضمن دون ريب معانى أكثر وأكثر. ويتكرر الأمر بالقراءة فى الآية الثالثة من سورة العلق مشفوعا بالتنويه بكرم الله باستخدام صيغة المبالغة فى الكرم إذ يقول الحق تبارك وتعالى: «اقرأ وربك الأكرم» وتأتى الآية الرابعة مؤكدة لذلك الكرم الإلهى عندما يذكرنا الله سبحانه وتعالى بأنه هو « الذى علم بالقلم» . وتؤكد الآية الخامسة «علم الإنسان مالم يعلم» أن الإنسان لم يكن ليعلم أو يتعلم، ولم يكن ليدرك أو يعرف لولا أن أنعم عليه الله سبحانه وتعالى بإمكانية أن يعرف وأن يدرك وأن يتعلم. ومن هنا يستطيع الإنسان أن يطمئن إلى إمكانية المعرفة رغم أنف مباحث الإبستمولوجيا، وهى الدراسات المتعلقة بإمكانية المعرفة البشرية .

قال القرطبى فى تفسيره : « نبه الله تعالى على فضل علم الكتابة لما فيه من

---

(١) خلق الإنسان من علق لا يتناقض إطلاقا مع قول القران الكريم فى مواضع أخرى أن الله قد خلق الإنسان من طين مثلا إذ أن خلق الإنسان من طين يقصد به خلق آدم أبى البشر . أما خلق الإنسان من علق فإن المقصود به والله أعلم بمراده هو خلق أجيال البشر بعد آدم عليه السلام . ويلاحظ أن الحيوان المنوى الذى خلق منه الإنسان أصغر حجما من بذرة أى نبات فيما نعلم، والله أعلم.

المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إنسان . ولولاها ما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولولاها ما كتبت كتب الله المنزلة، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين [١] » .

وقال ابن كثير فى تفسيره [٢] : « أول شئ نزل من القرآن هو هذه الآيات الخمس المباركات، وهو أول رحمة رحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم بها الله عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يكن يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذى امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة »

هذه الآيات الخمس الأولى من القرآن الكريم رفعت شأن المخاطب بها خصوصا، وأعلت شأن الإنسان عموما، بطريقة فذه غاية فى الإيجاز والإعجاز. وسيظل هذا الإعجاز البلاغى سمة دائمة من سمات القرآن الكريم ليكون بحق معجزة المعجزات.

وإذ أزجيت بين يدى القارئ الكريم بعض معانى ودلالات الآيات الخمس الكريمة التى تواردت إلى خاطرى، واستعنت ببعض مادار بخلد كل من المفسرين العظيمين : القرطبى وابن كثير، فإن المعانى التى تواردت إلى خاطرى وإلى ذهن غيرى إنما هى بعض المعانى وليست كل المعانى التى يمكن استخلاصها من هذه الآيات الخمس التى بدأ الله إنزالها إلى خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وهى قبل كل شئ، وهى بعد كل شئ آيات بينات لم يزد عددها على خمس آيات.

أمر إلهى بالقراءة لإنسان أمى لا يعرف القراءة كما تعارف عليها البشر . إنه ﷺ لن يقرأ شيئا كتبه أحد البشر . من ذا الذى كتب ذلك الكلام الذى أمر ذلك الإنسان العربى الأمى أن يقرأه ؟ سؤال لابد أن يقفز إلى الأذهان ! وماذا بعد هذه الآيات الخمس ؟ سؤال لابد أن يدور بخلد كل إنسان !

ما هذا؟ وماذا بعد؟

أما سؤال: ماهذا ؟ فلقد دار السؤال بخلد محمد ﷺ ذاته . وكان طبعيا أن يدور

---

(١) تفسير القرطبى : ١٩/٢٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤/٦٢/٤

بخلده عليه السلام ذلك السؤال، ومن غير المعقول ألا يدور السؤال بخلد إنسان سوى يتمتع بكامل قواه العقلية وبكامل صحته النفسية ، وقد شهد ما لم يشهده أحد على مدى أجيال وأجيال .

وتجمع كتب السيرة النبوية الشريفة على أنه ﷺ كان يخشى على نفسه من ذلك الذى ألم به فى غار حراء: لقد كان عليه السلام وحده بالغار. ونزل أمامه جبريل عليه السلام. وقال له جبريل بصوت كان مسموعا واضحا دون ريب «اقرأ» .

هل كان ذلك الذى رآه محمد ﷺ إنسانا يتكلم؟ أم أنه كان ملاكا من ملائكة الله ؟وأنى له ﷺ أن يعرف على وجه اليقين؟ لكنه عليه السلام قد شاهد جبريل بعينيه، وأحس غطه، وسمع بأذنيه كلمة « اقرأ » .حسنا، لقد أجمع النظر واللمس والسمع على صحة ما رأى وصحة ما لمس وصحة ما سمع . ولكنه عليه السلام لا يعرف القراءة ، فما بال ذلك الوافد عليه فجأة يطلب منه أن يقرأ ؟ وماذا يقرأ ؟ لم تكن هناك ورقة مبسوطة ليقرأ منها ما بها. ولو كانت هنالك ورقة مبسوطة ليقرأ مابها، فهو عليه السلام أمى لا يقرأ ! ويغطه الملك مرة إثر مرة، وفى كل مرة يقول له: «اقرأ» . والغط ضغط بالذراعين إلى الصدر، وضغط الصدر إلى الصدر باستخدام الذراعين شئ مألوف ومحسوس وملموس ، والغرض منه تثبيت القلب والجنان، واسترداد الحواس واستجماع الوجدان. أفى ذلك ريب؟ وإذ بدأ الملك يقرئه، وعى عنه ﷺ ما أقرأه، فإذا هو قرآن ذو معان. إنه ليس بهلوسة. إنه ليس بهذيان . إن معانيه فى سموها واتصالها بالحقائق تفوق أجمل كلام، وتتفوق على أى بيان يمكن أن يصوغه إنسان .

وأفضى محمد ﷺ إلى زوجته خديجة بكل ذلك الذى كان يدور بخلده . وطمأنته . وأفضيا بخبرهما إلى ورقة بن نوفل . وطمأنهما . فماذا بعد ؟

القرآن الذى قرأه محمد ﷺ جميل جميل ،يتحدث عن القراءة وعن الله الخالق للإنسان من علق، ويؤكد أن الله هو الأكرم، وأنه سبحانه وتعالى هو الذى كرم الإنسان بالعلم وبإمكانية التعلم .

خمس آيات . أهذا هو كل ما هناك ؟ ماذا بعد ؟ إن ورقة بن نوفل، ذلك الشيخ

العربى الذى كان قد اتصل بالتوراة والإنجيل ، وكان قد بلغ أرذل العمر، وكان قد كف بصره، وكان يعرف بشارة التوراة والإنجيل كليهما بمجئ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قد طمأنه أن القرآن الذى كان قد أقرئه محمد ﷺ هو الناموس الأكبر مثل ذلك الناموس الذى كان قد أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام. ويستحيل أن تكون هذه الآيات الخمس مع كل جمالها وجلالها هى كل الناموس الأكبر.

كان طبيعيا أن تشتاق نفس محمد ﷺ إلى المزيد .

وتحدثنا كتب السيرة النبوية الشريفة أنه ﷺ كان يتردد على غار حراء التماسا لمزيد من الوحى الإلهى ليقرأ ويقرأ .

ما حاجته ﷺ إلى معرفة الكتابة والقراءة وحروف الكلمات إذ تكتب أو تقرأ والقرآن الكريم الجميل الجليل قد جاءه مباشرة من الله سبحانه وتعالى الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ؟!

إنه ﷺ يجد نفسه بالفعل يقرأ ويقرأ ويقرأ مرة تلو مرة : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ .

يالجمال ما يقرأ ! ويالجلال ما يقرأ! ويالروعة جمال ومعقولية المعانى فيما يقرأ! ولقد قرأ الآيات الخمس المباركة على زوجته فطمأنته واطمأنت عليه كما كانت رضى الله عنها وأرضاها تطمئن إليه. ولقد قرأ الآيات الخمس المباركة على ورقة بن نوفل فأقسم ورقة أن هذه الآيات الخمس المباركة هى بداية نزول ناموس إلهى، وتمنى ورقة بن نوفل أن يمتد به العمر ليرى يوم يخرجه قومه ، وطمأن ورقة بن نوفل محمدا ﷺ إذ اطمأن ورقة ذاته بعد إصغائه إلى الآيات الخمس ذاتها إلى أن القرآن الذى أقرئه ثم قرأه محمد ﷺ إنما هو كلام الله حقا وصدقا وليس كلاما من صياغة أو إنشاء بشر أبدا. إن قدرة البشر على إنشاء وصياغة الكلام محدودة، وجمال المعانى فى هذه الآيات الخمس يدل دلالة واضحة على أن هذه الآيات الخمس قد أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا محمد ﷺ بقدرته سبحانه وتعالى غير المحدودة .

يتكلم البشر عندما ينشئ البشر كلاما فى خصوصيات البشر. وتدور معانى كلام البشر عادة فى خصوصيات فرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات أو قوم من الأقوام. تحدث إن شئت الآن أيها القارىء الكريم منشئا أى كلام، وستجد أن الكلام الذى تنشئه يتعلق بشأن من شئونك ، أو بخاطر من خواطرك، أو بتجربة من تجاربك. وإن اتسعت آفاق فكرك ستتحدث عن شأن يخص أسرتك أو موطنك. رئيس أكبر دولة فى العالم عندما يتحدث ، تجده يتحدث عن صالحه أو صالح دولته . فما بال هذه الآيات الخمس تتحدث أول ما تتحدث عن القراءة ، وتتحدث عن العلم والتعليم، وتتحدث عن خلق الإنسان ، عموم الإنسان ، وليس عن إنسان بعينه تتحدث فى الغالب الأعم آيات هذا القرآن ؟ هكذا يتكلم القرآن : يا أيها الناس اعبدوا ربكم .. يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. خلق الإنسان من علق... يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم.. ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر.

لقد طمأن ورقة بن نوفل النبى عليه السلام أن القرآن الذى قرأه هو كلام الله حقا وصدقا . وتجمع كتب السيرة على أن رسول الله ﷺ كان يتردد على غار حراء التماسا لمزيد من الوحى الإلهى ليقرأ ويقرأ. لقد أحب ﷺ القرآن الكريم الذى قرأ . ولقد اطمأنت نفسه إلى أنه لم يكن واهما ، واطمأن قلبه أنه لم يكن مخدوعا، واطمأن عقله أنه كان سليما معافى واعيا . فما بال الوحى لا يعاود النزول إليه؟ وها هو ذا يلم بغار حراء ويتردد عليه مرات أكثر وأطول مما كان يلم به من قبل انتظارا لمعاودة لقاء ملك الوحى عسى أن يقرئه المزيد من هذا القرآن الجميل الجليل.

وتجمع كتب السيرة النبوية الشريفة على أن الوحى الإلهى بعد هذه الآيات الخمس المباركة لم يعاود النزول على سيدنا محمد ﷺ فترة من الزمان !

يقول ابن كثير رضى الله عنه: « ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال: «يا محمد.. إنك رسول الله حقا» فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع» . ويقول ابن

كثير أيضا : «وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين[1] من حديث الزهرى» .

هذا موقف جدير بالتأمل . خمس آيات مباركات وفتر الوحى فترة . ماذا يقول محمد ﷺ للناس؟ هل يقول: « أنزل الله إلى هذه الآيات الخمس فقط لاغير؟» وليس فى الآيات الخمس المباركة إعلام بنبوة أو تكليف برسالة إلهية ، ولم يطلب الله منه خلالها أن يدعو إلى دين أو عقيدة أو شريعة . لقد قرأها عليه السلام على زوجته فاطمأنت وطمأنته. وقرأها إلى ورقة بن نوفل فاطمأن وطمأنه. أيقرأها على غيرهما من الناس؟ إن حالته هذه إنما تشبه فى حرجها حالة سيدنا موسى عندما اختار سبعين شيخا من أفضل رجال بنى إسرائيل ممن لم يعبدوا العجل ليعتذروا إلى الله عن عبادة قومهم العجل، فطلب الشيوخ السبعون أثناء سيرهم مع سيدنا موسى أن يريهم سيدنا موسى الله لتطمئن قلوبهم كما اطمأن قلب سيدنا موسى ، وكان ذلك لجاجا منهم جريا على عادة بنى إسرائيل فى اللجاج ، فأماتهم الله بالصاعقة جميعا وشعر سيدنا موسى بالحرج : كيف سيعود إلى قومه بدون الشيوخ السبعين ؟

لا ريب أن فتور الوحى عن سيدنا محمد ﷺ فترة بعد الآيات الخمس المباركة التى أنزلها إليه الله سبحانه وتعالى قد سبب له حرجا أى حرج، فضلا عما كان يجده من الشوق إلى المزيد من قراءة ذلك القرآن الذى قرأه واستعاد قراءته مئات المرات مستشعرا حلاوته فى كل مرة مشوقا إلى المزيد فكيف السبيل إلى المزيد؟

هذه اللقطة أيضا جديرة بالتأمل ! لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لكان من السهل عليه أن ينشئ كلاما من عنده ليزعم أنه تتمة ما أوحى إليه، وتحل المشكلة. ولكن حاشا لله أن يكذب رسول الله على الله ، وهو ﷺ لم يجرب عليه كذب قط .

ولقطة أخرى تجدر بالتأمل! لقد ثبت فى السيرة الصحيحة أنه ﷺ لما فتر الوحى فترة حزن حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من شواهق الجبال . لقد اتصلت روحه عليه السلام بالقرآن لا تطيب له الحياة دون أن يأتيه الوحى ويقرئه القرآن. ألم يقل سيدنا موسى من قبل فى موقف مماثل: ﴿ **رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى** ﴾ [2] وكان

---

(١) ابن كثير : ٤٦١/٤ .

(٢) سورة الأعراف : الآيه : ١٥٥

ذلك تجنبا للحرج؟ وأى حرج أكبر من أن ينزل الله إلى نبى من أنبيائه عليهم السلام خمس آيات مباركة فقط بالغا ما بلغ جمالها وجلالها ؟

اجتمع الشوق إلى المزيد من القرآن الكريم إلى الحرج الشديد لفتور الوحى الإلهى المجيد ، فماذا يفعل الرسول الكريم ؟وكيف تستقيم له الحياة ويطيب له العيش وقد فتر عنه الوحى ؟ أيلقى نفسه من ذروة الجبل الشاهق ليستريح من الشوق والحرج كليهما ؟

تؤكد لنا السيرة النبوية الشريفة أنه عليه السلام قد هم بذلك أكثر من مرة كما كان سيدنا موسى من قبل قد تمنى لو كان ربه قد أهلكه مع شيوخ بنى إسرائيل السبعين من قبل أن يخرج معهم متجهين إليه. وفى كل مرة كان الروح الأمين جبريل يظهر له، ويقول له: «يامحمد إنك رسول الله [1] حقا» .. فكان عليه السلام يهدأ وتطمئن نفسه. ولقد تكرر ذلك أكثر من مرة.

ما هذا الشأن العجيب ؟ جبريل عليه السلام يظهر لمحمد ﷺ أكثر من مرة فى فترة فتور الوحى الإلهى عنه فى وقت شدة حرجه وشدة شوقه إلى المزيد من الوحى دون أن يقرئه شيئا من القرآن، ولا يزعم محمد ﷺ أن قد أقرأه جبريل شيئا من القرآن غير تلك الآيات الخمس الأولى من سورة العلق؟ أليس هذا التزاما بالصدق أتم وأكمل ما يكون الالتزام ؟ أليس هذا دليلا واضحا على أن محمدا ﷺ كان يميز بقدرة الله وحكمته بين : ما يوحى إليه « قرآنا » وبين ما يقوله جبريل مما لا يعد قرآنا؟ وهل يستقيم أمر القرآن لو خالطه أى كلام مما ليس بقرآن حتى لو كان ذلك الكلام صادرا عن الروح الأمين جبريل عليه السلام إلى الرسول الأمين محمدﷺ ؟ أوليس القرآن الكريم هو كتاب الله كما أراده الله ليكون آخر صور الوحى الإلهى وأتمها وأكملها؟ أيعجز الله سبحانه وتعالى أن يحفظ القرآن الكريم من أن يختلط به كلام «مخالط» لا يريده الله ضمن كلمات قرآنه الكريم؟ حاشا لله. إنه سبحانه وتعالى القادر العليم الحكيم وسع كل شئ رحمة وعلما. وهو

---

(١) ابن كثير ص ٤٦١ - جـ ٤ - دار القلم ببيروت.

سبحانه وتعالى القائل بخصوص القرآن الكريم : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1] ولقد أورد الله سبحانه وتعالى هذه الآية القرآنية الكريمة المباركة التى تبث الإطمئنان فى عقل وقلب كل مسلم أن قرآنه الكريم فى حفظ الله، أورد الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة ضمن سياق محكم يقول: ﴿ **وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون* لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين* ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين * إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون* ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين* لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**﴾ [2] وجدير بالتأمل أن نلاحظ السياج المنيع الذى أحاط به الله مصداقية القرآن، وجدير بالملاحظة أن نتأمل دفع التهم الباطلة ودحضها عن القرآن الكريم.

ولقد أنزل الله الوحى الإلهى بواسطة جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ بعد تلك الفترة الطويلة التى أعقبت الآيات الخمس الأولى سلسلا من سلسل منجما تتنزل سوره الكريمة وآياته البينة على دفعات متتالية لتواكب الأحداث المتلاحقة ، وليثبت به الله فؤاد النبى ، وليعلم الإنسان ما لم يكن يعلم ، وليعطى الله الإنسان أصح عقيدة وأتم شريعة ، وليظهر الله الحق ويدحض الباطل مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **أفلايتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾ [3]

---

(١) سورة الحجر : ٩ (٢) سورة الحجر ٦ ـ ١٥ (٣) سورة النساء : ٨٢

نظرية النبوة وخاتم الأنبياء

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز* الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير** ﴾ [1] .

نظرية النبوة غاية فى البساطة والوضوح والسهولة ،كما أن مسألة ختم النبوات مسألة تحتمها الضرورة ، إذ يستحيل تصور سلسلة متتالية الحلقات ، توجد فى الواقع الفعلى للبشر ، لحلقاتها بداية وليس لها نهاية ، ويستحيل أن نرى الحلقة الأولى من أى سلسلة ونعمى[2] ونعجز أن نرى الحلقة الأخيرة مادام الإنسان ينعم بنعمة البصر ولم يحرم نعمة البصيرة .

وتعتمد نظرية النبوة على دعامتين أساسيتين، وكل منهما غاية فى البساطة والوضوح، و لا يمكن لمن يؤمن بوجود الله وبمطلق قدرته وحكمته أن ينكر واحدة منهما .

والدعامة الأولى للنبوة هى الاختيار الإلهى أو الاصطفاء الإلهى. ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر حق الله فى اختيار أنبيائه ورسله إلى البشر من بين البشر دون ان يكفر بالله ويجحد ذات الله سبحانه وتعالى ويجحد صفاته ؟! لقد اختار الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام من دون مخلوقاته ليجعله فى الأرض خليفة ، وخصه بالعلم وبالقدرة على التعلم والمعرفة. واختار الله من الأماكن والبقاع أماكن وبقاعا جعلها مقدسة واختار الله من الأشهر والأيام أشهرا وأياما جعلها مباركة.

وانطلاقا من التسليم البديهى بمطلق مشيئة الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالاختيار والاصطفاء الذى لا يمكن أن يختلف بشأنه من يؤمنون بالله القوى العزيز السميع البصير ، تستمد نظرية النبوة أساسها القوى الأكيد .

يستحيل بداهة تصور إله بحق لا يصطفى ولا يختار ، لأن القدرة على الاصطفاء والاختيار إنما هى من أول وأهم مقومات الألوهية ، لاتصالها بعموم القدرة والمشيئة

---

(١) سورة الحج : ٧٤ ـ ٧٥ .

(٢) نظرية ختم النبوات والرسالات السماوية من أهم أسباب رفض غير المسلمين لدعوة الإسلام. ويشهد الواقع الفعلى بصدقها.

الإلهية ، من الضرورى بداهة أن يكون الله فعالا لما يريد ، وتصور إله لا يقدر ولا يستطيع أن يختار وأن ينفذ مشيئته وفق اختياره وإرادته إنما هو ضرب من التناقض فى الحدود .

ولا تحتاج نبوة الأنبياء شيئا آخر غير إثبات وثبوت قدرة الله على الاختيار والاصطفاء سوى إثبات وثبوت قدرة الله على تحقيق اختياره واصطفائه، مع توافر سلامة الاختيار وأهلية المصطفى المختار لما اقتضته إرادة الله من الاختيار .. وهى اعتبارات تقضى بها البداهة التى تدرك طبائع الأمور، وهى البداهة المركوزة فى طبائع كل المؤمنين بالله وبقدرة الله ونفاذ مشيئته. وكفاية وأهلية الأنبياء للنبوة وكفاية وأهلية رسل الله لحمل الرسالة وأداء الأَمانة هو الدعامة الثانية التى ترتكز عليها نظرية النبوة .

ومن غير المعقول ومن غير المقبول بداهة أيضا تصور إمكانية أن يختار الله ويصطفى نبيا من الأنبياء ولا يكون هذا النبى الذى اختاره الله واصطفاه أهلا مؤهلا للنبوة.كيف يمكن تصور ذلك، والله سبحانه وتعالى هو السميع البصير وهو الخلاق العليم ؟ إن الله سبحانه وتعالى هو الذى يختار من الناس أنبياء ورسلا وهو الله الذى خلقهم وفطرهم جسما وعقلا وقلبا وقالبا . وكما أنه قد اختارهم واصطفاهم بمطلق وكامل علمه وبصيرته وحكمته فإنه سبحانه وتعالى قد هيأهم بكمال الفطرة وتمام الخلقة بحيث يكون كل منهم أهلا للنبوة أو ليكون رسولا من رسل الله عليهم السلام مؤهلا لآداء الأمانة وتبليغ الرسالة .

وبالبشر حاجة ماسة إلى وجود الرسل والأنبياء بين ظهرانيهم دون مراء.

خلق الله الإنسان وعلمه البيان، وخص الله الإنسان بالعقل والقدرة على المعرفة، ووهبه الله ذكاء القلب وشفافية الوجدان، ويستطيع الإنسان أن يدرك طلوع الشمس نهارا وبزوغ القمر ليلا، ولكن أنّى للإنسان أن يدرك أن الشمس والقمر بحسبان وأى حسبان .. ادعى النمروذ كذبا أنه يستطيع أن يحيى ويستطيع أن يميت، وبهت النمروذ، وكان لابد له أن يبهت عندما فاجأه سيدنا إبراهيم بأن الله يأتى بالشمس من المشرق، وطلب من النمروذ أن يأتى بها من المغرب، فبهت الذى كفر بقدرة الله ومطلق علمه وحكمته وقدرته إذ أوضح له أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ما كان

خافيا عليه من أن الإنسان لم يؤت من العلم بالغا ما تقدم به العلم إلا قليلا، وأن الله قد خلق الإنسان وعلمه البيان، ليجعل من علم الإنسان المحدود دليلا على علم الله الذى لا تحده حدود، وليجعل سبحانه وتعالى من حكمة الإنسان المحدودة دليلا على حكمة الله الكاملة.

وإذ اقتضت إرادة الله ومشيئته أن يتخذ فى الأرض خليفة، وإذ علم الله آدم الأسماء كلها متيحا لبنى آدم عليه السلام إمكانية العلم والمعرفة، فإن الله سبحانه وتعالى لم يكن يعزب عن قدرته أن يبقى آدم وزوجه فى الجنة، ويتناسل أبناء آدم عليه السلام فى الجنة، ليكونوا جميعا مؤمنين: لايكفر منهم بالله أحد ،ولا يجحد نعم الله منهم أحد، ولا يعصى الله منهم أحد ولكن الله سبحانه وتعالى اقتضت مشيئته وشاءت إرادته أن يعبده وأن يؤمن به وأن يطيعه بنو آدم طواعية واختيارا لا قهرا وإجبارا، وكانت لله سبحانه وتعالى فى هذا وذاك وكله إرادته ومشيئته وحكمته .

اقتضت طبيعة الإيمان وحقيقته إمكانية وجود الكفر وإمكانية تحققه، ليكون لدى بنى آدم مجال للاختيار، وليكون هناك مجال فسيح للاختبار .

ولا يمكن أن ينعقد للبشر امتحان واختبار ، دون أن تكون لديهم القدرة على التعلم والمعرفة والاستذكار. لابد من إمدادهم بالمعارف والعلوم أولا . ولا بد من وجود كتب تحوى بين دفتيها تفاصيل المنهج المقرر . ولابد من مدرسين ومعلمين يساعدون الدارسين المتعلمين لينعقد بعد ذلك اختبار أو امتحان ، ولتتاح الفرصة لإمكانية الثواب والعقاب وليتحقق العدل فى تقدير النجاح أو تقرير الرسوب . ولا يتم اختيار المعلمين عشوائيا ، بل لابد أن تتوافر فى كل منهم خصائص وكفايات ، تجعلهم قادرين على أداء عملهم وتحقيق ما رصد له من غايات .

يحتاج البشر إذا إلى الأنبياء والمرسلين حاجة التلاميذ الدارسين إلى الأساتذة والمعلمين. إن لدى من يرغب العلم من التلاميذ وطلاب التعليم فى الغالب الأعم الرغبة والقدرة على التعلم، ولدى الأساتذة والمعلمين بالضرورة القدرة على الإرشاد والتعليم .

ومن الناس بطبيعة الحال من يرغب فى العلم ، ومنهم من يرغب عنه، ومن الناس من يستفيد ويفيد غيره بحقائق العلم ، ومنهم من يستغل حقائق العلم فى الأذى

عندما تجنح بهم نفوسهم الشريرة إلى تسخير ما أتيح لهم من حقائق العلم للحصول على أسباب القوة ، وعندما يزين لهم الشيطان حب الشهوات والميل إلى السيطرة والتسلط على الناس للاستغلال ولذات التسلط والاستعلاء وحب السيطرة . أولئك هم شر البرية يمهلهم الله ولا يهملهم ، يمهلهم عسى أن يتوبوا إليه، وإن لم يتوبوا ساء مآلهم في الدنيا والآخرة .

وعندما نتأمل التاريخ البشرى نجد أنه من العجيب أن الله سبحانه وتعالى بعد أن وهب الإنسان القدرة على المعرفة والإدراك بسلامة الحواس وذكاء العقل ورهافة القلب ترك البشرية فى أقصى الشرق المأهول من العالم دون أنبياء ورسل يرشدون الناس بوحى السماء واعتمد أهل الشرق الأقصى فيما نرجحه كما يتبدى لنا من دراسة ديانات الشرق القديم على جهود البشر تعويلا على العاطفة والميول القلبية ، فركنوا إلى الشعور بضآلة الإنسان إزاء ما يحيط بالإنسان من قوى تجعل مصير الإنسان كالريشة فى مهب الرياح ، أو كالذرة فى رمال الصحراء .

وإذ لفت الموت كمصير محتوم للبشر انتباههم ركنوا إلى أن الحقيقة الكبرى التى تحكم عالم البشر تتمثل فى « النرڤانا » أو الفناء، فناء الذات البشرية فى ملكوت يحتم كل شى فيه أن تكون خاتمة حياة البشر هى الموت والفناء، فلا جدوى من اتباع الشهوات والغرور بإدراك الملذات، وهكذا وصلت بأهل الشرق القديم عواطف قلوبهم إلى «الفناء» إذ اعتمدوا فى ذلك على التطلع من الأرض نحو السماء .

وفى أقصى الغرب المعمور اعتمد الناس على العقل كما تبدى ذلك لدى قدماء اليونان، ولم يفض العقل بهم إلى شئ سوى التناقض والتضاد فى الآراء . ناقض أنكسمندريس طاليس. وناقض أنكسيمانس أنكسيمندريس . وناقض أرسطو أفلاطون. نشطت عقولهم فى تأمل الطبيعية حولهم، وعجزت عقولهم عن التطلع إلى السماء فوق رءوسهم. وربما كانت جهود مفكرى اليونان القدامى فى مجال الطبيعيات تستحق شيئا من الالتفات، ولكن الحقيقة المؤكدة تمثلت فى قصورهم فى مجال الإلهيات التى كانت عقولهم تقف إزاءها عاجزة ضعيفة . ولا ريب أن تصور اليونان القدامى للآلهة حسب معتقداتهم كانت قاصرة ضعيفة متردية.

ولقد غرق اليونان والرومان القدامى فى متاهات تعدد الآلهة، واستغرقتهم عبادة الأصنام التى كانوا يصنعونها بأيديهم على صورة الإنسان . كانوا يعبدون أصناما يصنعونها بأيديهم على صورة الإنسان . كانوا يعبدون أصناما يصنعونها بأيديهم لآلهتهم ، ويضعون بجوارها تماثيل ملوكهم من أباطرة الرومان ، حتى نقل إليهم يهودى كان يدعى « شاول » [١] تحاريف المسيحية بعد أن غير لهم اسمه ضمن ما غير : من « شاول » وهو اسم يهودى عبرانى صرف ، إلى « بولس » وهو اسم يونانى أو رومانى بحت وحول لهم « شاول » المسيح عليه السلام من رسول من رسل الله سبحانه وتعالى إلى إله إنسان » ليكون قريبا مما ألفته وتعودت عليه عقول الرومان .

وكانت المنطقة التى نعرفها الآن باسم منطقة الشرق الأوسط ملتقى العقل والقلب، وهى مهبط الأديان وهى المكان الذى اصطفاه واختاره الله ليصطفى ويختار من بين أهله الرسل والأنبياء . وجدير بنا أن نتأمل حكمة الله فى ذلك ، ولله مطلق القدرة على الاختيار والاصطفاء حتى يتصل أهل الأرض بوحى السماء.

ولقد كان البشر فى مطلع العصر الحديث هم الذين أطلقوا على هذه المنطقة من العالم التى تعتبر بحق ملتقى الحضارات، ومهبط الوحى الإلهى والرسالات، كان البشر فى مطلع العصر الحديث هم الذين أطلقوا على هذ المنطقة من العالم بين منطقة شرق آسيا وشرقى البحر المتوسط اسم الشرق الأوسط . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان واحدة من أمم هذه المنطقة بأنه سبحانه وتعالى قد جعلها أمة وسطا.. إذ قال عز من قائل: ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم۝وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم**﴾[٢]

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول ما حرفه وبدله وغيره « شاول » اليهودى الذى تسمى فيما بعد باسم «بولس» ، انظر كتاب الدكتور محمد وصفى ، الذى شرفنا بمراجعته وتنقيحه وتقديمه ، وأعادت دار الفضيلة بالقاهرة طبعة ونشره بعنوان : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام - ص٤٨ ـ ٧١ .

(٢) سورة البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٣

ومن العجيب حقا أن نجد الوحى الإلهى متمثلا فى آخر وأتم صوره يعترف بالكتب السماوية السابقة زمنيا للإسلام ويعترف بنسبتها إلى الله سبحانه وتعالى ، ويعترف بنبوة ورسالة أنبياء ورسل سابقين ، ويعترف بالمعجزات التى أجراها الله على أيديهم تأييدا لصدق نبوتهم وسلامة رسالاتهم ، بينما ينكر أصحاب الأديان السابقة كاليهودية والمسيحية القرآن الكريم، وينكرون نسبته وصدوره عن الله سبحانه وتعالى وينكرون صدق نبوة وسلامة رسالة محمد ﷺ ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين *وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين *ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم وأجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم *ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين *أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين* وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون* وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ولقد**

جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم و ضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ [1] .

ونستميح القارئ الكريم عذرا أن طال اقتباسنا من آيات القرآن الكريم استشهادا لحقيقة أن القرآن الكريم يعترف بنزول وحى إلهى على أنبياء ورسل سابقين إذ أن الصور البيانية الرائعة الخلابة تتواصل وتتلاحم ، ولقد استحال على والحق يقال أن أفصل أى جزء منها .

شأن منكرى القرآن الكريم شأن وايم الله غريب ينكرون الوحى الإلهى عموما . أى والله لقد سمعتها بأذنى من أحدهم إذ قال : « أولا وقبل كل شئ لايوجد شئ اسمه الوحى الإلهى» قلت : « فما التوراة وما الإنجيل ؟» قال : «أنا أتحدث عن الإنجيل فحسب وأقول إنه قصة حياة المسيح » قلت: «لماذا تعتبرونه كتابا مقدسا وأنتم تقولون إنه لا يوجد شئ اسمه الوحى الإلهى ؟» سكت فترة ثم قال : «نعم أنا مصر على موقفى : لا يوجد شئ اسمه الوحى الإلهى » أى أنه تمسك بعناد بموقفه بصرف النظر عن الصواب والخطأ . قلت له : « أنت وشأنك . لم يعد ثمة مجال لحوارنا . هذا فراق بينى وبينك!»

لا يريدون الاعتراف بالوحى الإلهى عموما ، لأنهم لواعترفوا به ، واعترفوا بأن التوراة كما أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام والإنجيل كما أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام كان الوحى الإلهى هو السبب فى نزول كل منهما لزمتهم الحجة الدامغة فورا : مادام الوحى الإلهى ممكنا، وعلى أساس من الاعتراف بإمكانه كان نزول التوراة، وكان نزول الإنجيل، يستحيل وجود مبرر واحد يحول دون إمكانية تصور أن الله الذى أنزل التوراة وأنزل الإنجيل من قبل قد شاءت إرادته أن ينزل القرآن الكريم وحيا إلهيا صادقا إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

ينكرون الوحى الإلهى ريثما يكفرون بالقرآن الكريم ثم ينعطفون فيما بينهم وبين أتباعهم ليعترفوا بالوحى الإلهى فيما يتعلق بالتوراة بصورتها الراهنة وبالأناجيل بحالتها الحاضرة. أما القرآن الكريم الذى أوحاه الله إلى سيدنا محمد ﷺ ، وهو الوحى

---

(١) سورة الأنعام ٨٣ - ٩٤ .

الإلهى الذى يكشف مازيفه أحبار وقادة اليهودية ، وما ابتدعه كبار أساقفة وكرادلة المسيحية ، وهو الوحى الإلهى الذى يجعل محمدا ﷺ ، النبى العربى الأمى خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فإن دونهم ودون الإيمان والتسليم بصحته فقدان كل ما وصلوا إليه من مال وجاه وسلطان ، فتمسك معظمهم بتكذيبه ، والكفر به، ولقنوا أتباعهم تكذيبه، والكفر به .. بكل ضراوة وعناد.

وليس إنكارهم للوحى الإلهى تهمة باطلة يتهمهم إنسان مسلم بها زورا وبهتانا . إن لم يكن إنكارهم للوحى الإلهى حقيقة تدمغهم فالحل بسيط . فليتفضلوا ويعلنوا على رءوس الأشهاد إيمانهم بالوحى الإلهى . إنهم لا يفعلون. إنهم يدركون أن اعترافهم بالوحى الإلهى من حيث إمكانيته يخرج أمور الدين وزخارف الدنيا من بين أيديهم فورا لتكون أمور الدين بيد الله يوحى كلامه العزيز إلى من يصطفى ويختار من البشر، ولا يوجد سبب واحد يحول من حيث المبدأ دون أن يكون الله قد اختار واصطفى المختار المصطفى محمدا ﷺ ليوحى إليه آخر وأتم وأكمل صور وحى السماء إلى أهل الأرض .

وفى مناظرة جرت وقائعها بمدينة استوكهولم عاصمة السويد بين باستر استانلى شوبيرج والعلامة أحمد ديدات عام ١٩٩١ وقف كبير قساوسة السويد استانلى شوبيرج ليقول بانفعال شديد : « نحن لا نؤمن بوحى لفظى أنزله الله إلى إنسان We do not believe in a verbal dictation ثم يعود فيناقض نفسه ليقول كلاما غامضا دون أن يحفل بأى تناقض أو غموض إذ يقول : نحن نؤمن بوحى كلى شامل We believe in a complete total inspiration ماذا يقصدبهذا الذى يسميه : الوحى الكلى الشامل ؟ الله أعلم .

ويزيد الأمر غموضا وتعقيدا إذ يقول : إن الله لم يقصد أن يتكلم فى الآذان . لقد كان الله يستطيع أن يتكلم مباشرة فى القلوب ، قلوب البشر . [١]

God did not mean to talk through ears . God could talk directly to the hearts of the people .

---

(١)انظر ترجمتنا لشريط فيديو مناظرتان فى استوكهولم – ص٤١-٤٢ من منشورات دار الفضيلة بالقاهرة .

وما هو الوحى الإلهى الذى يتكلم فيه الله مباشرة إلى قلوب البشر ؟

محاولة ساذجة للتعريض بالقرآن الكريم وإنكار الوحى الإلهى فيه وعدم الاعتراف به لأن الله فى زعمه قد تكلم فى أذن إنسان، ويزعم أن القرآن الكريم يستحيل أن يصل إلى القلوب والوجدان . إن مكان وحى الله فى القرآن يقف فى زعمه الخاطئ عند الآذان. ويزعم أن الوحى الإلهى فى التوراة والإنجيل يصل مباشرة إلى القلوب والوجدان. ولا نعرف ما إذا كان الوحى الإلهى المعترف به لديه فى التوراة والإنجيل يمكن أن يمر من الآذان أم يستحيل مروره من الآذان . ولو كان مرور الوحى الإلهى الكلى من الآذان فى زعمه مستحيلا ، فإننا نستطيع أن نؤكد له « أن ما يستحيل مروره من الآذان يستحيل أن يستقر بالقلوب والوجدان» ولكنه يتهافت ـ ولا حول ولا قوة إلابالله ـ على أن يوجد فرقا أى فرق بين الوحى الإلهى فى القرآن إذ يزعم أنه يمر من الآذان، وبين الوحى الإلهى الذى يعترفون بوجوده بالنسبة للتوراة والإنجيل ويزعم أن الله قد أوحى كلام التوراة والإنجيل مباشرة فى القلوب. ولم يدر بخلده أن ما ترفضه الآذان يستحيل مروره إلى القلوب .

وأفضل ميزة وفائدة لهذه المناظرات المسجلة بالصوت والصورة على شرائط فيديو أنها تطلعنا على حقيقة ماعند الآخرين . والله المستعان على ما يصفون .

ويقدم القرآن الكريم للناس جميعا المعيار أو المقياس الذى يقيسون به صدق نسبة الكلام بأى كتاب يزعم له أحد أنه كتاب مقدس بالنظر الى محتوى الكتاب نفسه ويطالب الله سبحانه وتعالى تطبيق هذا المعيار أو المقياس على القرآن الكريم نفسه إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ (١)

وعندما نطبق هذا المعيار أو المقياس على التوراة والأناجيل بحالتها الراهنة الموجودة

---

(١) سورة النساء : ٨٢.

بأيدى الناس سنجد اختلافا وتناقضات كثيرة لا مجال فى هذه الدراسة الوجيزة لبيانها وهى مبسوطة فى كتب كثيرة مثل كتاب إظهار الحق للعلامة الفاضل رحمة الله الهندى، وقد صدرت منه طبعة جديدة عن مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة تقع فى سبعمائة وعشرين صفحة ، وهى مبسوطة أيضا فى كُتب كثيرة أخرى.

معجزة المعجزات

قال الله سبحانه وتعالى: **﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا *ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾** (١)

القران الكريم بحق هو معجزة المعجزات وسجلها . إن القرآن الكريم ينبئ عن كل تفاصيل معجزات أنبياء الله ورسله التى أمدهم الله سبحانه وتعالى بها لإثبات مصداقية نبوة كل منهم عليهم السلام ، أو لإثبات صحة رسالته من الله إلى قومه الذين أرسله الله إليهم.

ومجرد حشد القرآن الكريم لتفاصيل هذه المعجزات إنما هو معجزة ملموسة خالدة مما يجعلها بحد ذاتها وبحق معجزة المعجزات. لقد كان مصير بعض هذه المعجزات هو الضياع لو لم يؤكدها القرآن الكريم . لم تذكر التوراة بحالتها الراهنة أهم معجزات سيدنا موسى عليه السلام، ولم يحفل واحد من الأناجيل بذكر أهم معجزات سيدنا عيسى عليه السلام. لقد ذكر أحد الأناجيل، وهو إنجيل يوحنا فى بداية الاصحاح الثانى أول معجزات المسيح عليه السلام هكذا : «وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر . قال لها يسوع مالى ولك يامرأة. لم تأت ساعتى بعد. قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه . وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء فملأوها إلى فوق . ثم قال لهم اسقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن

---

(١) سورة الإسراء : ٨٨ ـ ٨٩ .

يعلم من أين هى . ولكن الخدام الذين كانوا استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن» . [يوحنا ٢ : ١ــ ١٠] .

وبصرف النظر عما فى النص المشار مع زعمهم بأن إنجيل يوحنا هو أبلغ الأناجيل لغة وفصاحة وقوة بيان إذ يجوز أن تكون الترجمة العربية للنص وهى ما نقلناه عن النسخة العربية من الكتاب المقدس هى المسئولة عما به . يهمنا فحسب أن نشير إلى مدى معقولية المعانى، وندع للقارئ الكريم تقدير ما إذا كان يليق أم لا يليق أن ينهر السيد المسيح أمه إذ أخبرته أن لم يعد للضيوف خمر، فقال لها المسيح وفقا لرواية القديس يوحنا ، قال لها «مالى ولك» ، ومعناها المتعارف عليه المتبادر إلى الأذهان هو وجود «قطيعة» بين السيد المسيح وأمه، معناها المتبادر إلى الأذهان هو : «لا شأن لى بك ، ولا شأن لك بى. أنا أدعك فى حالك، ودعينى فى حالى» وندع للقارئ الكريم تقدير ما إذا كان من اللائق أن يقول السيد المسيح لأمه « يا امرأة » أم كان الأجدر به أن يقول لها «يا أمى» أو يقول لها «يا أماه» ، أو يقول لها «ياوالدتى» . والأهم من ذلك كله أن إنجيل يوحنا يجعل أول معجزات المسيح هى تحويل الماء القراح إلى خمر معتقة، ولم ينسب واحد من المسلمين هذه المعجزة المزعومة التى ينسبها إنجيل إفسس أو إنجيل يوحنا إلى السيد المسيح عليه السلام ، بل إن إنجيل يوحنا نفسه هو الذى ينص نصا صريحا على أن تحويل الماء إلى خمر ، كانت هى أول معجزات المسيح ضاربا صفحا عن معجزات المسيح الكبرى التى ينسبها القرآن الكريم إلى المسيح عليه السلام بدءا من الكلام فى المهد عند مولده عليه السلام، إلى نفخه فى الطين فيصير طيرا بإذن الله إلى إخباره الناس عما فى بيوتهم وعما يكنزون. إنجيل يوحنا هو الذى ينص صراحة على أن تحويل الماء إلى خمر هو أول معجزات المسيح عليه السلام إذ يقول : «هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا

الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» [يوحنا ٢ : ١١] .

نقول: إن القرآن الكريم قد سجل معجزات أنبياء الله ورسله السابقين، وحفظها من الضياع لكى يجعل منها دروسا عملية لنا ، يكشف لنا كل منها عن قدرة الله غير المحدودة بطريقة بالغة الإعجاز . كما أن القرآن الكريم قد كفل لأثر هذه المعجزات الخلود ، إذ جعل أثرها ممتدا عبر الأجيال دون حاجة إلى شهادة الشهود.

كيف استطاع النبى العربى الأمى، نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام، كيف استطاع أن يعرف ما حدث بين صالح وثمود، وكيف بلغه خبر سيدنا إبراهيم، والنار التى كانت بردا وسلاما على سيدنا إبراهيم ،وكيف عرف قصة سيدنا نوح وحكاية ابنه العاق الذى رفض أن يركب معه السفينة زاعما أنه كان سيأوى إلى جبل يعصمه وكيف بلغته ـ عليه السلام ـ أخبار موسى وفرعون، وكيف ضرب موسى البحر بعصاه فانشق البحر شقين، كان كل شق منهما كطود عظيم، ليمر سيدنا موسى وأتباعه، وليغرق فرعون وجنوده ، وقصة سيدنا عيسى عليه السلام، ومولده الذى تمثلت فيه معجزة من أكبر المعجزات ، وكل تفاصيل حياته الهائلة المثمرة المتدفقة أحداثا إعجازية ، لتصل إلى نهاية شأن المسيح مع قومه من اليهود وجند الرومان نهاية لا تقل إعجازا عن معجزة مولده عليه السلام . إن حشد كل هذه المعجزات وغيرها فى معجزة واحدة ، هى معجزة القرآن الكريم الخالدة يجعل القرآن الكريم ، دون مراء ، معجزة المعجزات .

يجوز أن تدهش المعجزة الناس وتبهرهم، ولكن القرآن الكريم يهدف إلى أن يقنع الناس ويهديهم. ويجوز أن يستفيد من المعجزة أولئك الذين شهدوها ورأوها بعيونهم، ولكن أولئك الذين لم يكونوا شهود عيان لها ربما جحدوا وقوع المعجزة وحدوثها، ولكن القرآن الكريم باق على مر الزمان، خالد خلود تتابع الأجيال، يشهده جيل

لاحق كما شهده جيل سابق، كما سيشهده جيل تال مع مرور الأجيال ، ليرى ويشاهد، وليقرأ ويكتب، وليتلى ويسمع، ولينفع ويقنع.

ويستطيع أى شخص شهد وقوع المعجزة أن يرتاب وأن يريب فى دلالتها قائـلا : «ولو. إنها لا تعنى كذا ولا كذا!» ، ويكون الحق معه ، إذ ليس فى طبيعة المعجزة ـ أى معجزة بطبيعة الحال شئ من محتوى الرسالة ، أى رسالة ، إذ أن مهمة المعجزة ووظيفتها هى إثبات صدق الرسالة والرسول دون أية تفاصيل فيما عدا معجزة القرآن الكريم الذى يحوى ـ وهذه هى معجزة المعجزات ـ ذات محتوى الرسالة الإلهية فى حقائقها الأساسية ، وعندما شاءت إرادة الله العليم الحكيم أن يقدم للبشر أكبر المعجزات وأكثرها خلودا اقتضت حكمته ومشيئته أن تكون أكبر المعجزات وأكثرها خلودا إنما هى كتاب كريم هو القرآن العظيم . نور وهدى للعالمين على مدار الزمان وكر الأعوام .

لقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل معجزات الأنبياء والرسل السابقين، وبدل أن كانت تلك المعجزات السابقة تخاطب الحواس، جعلها القرآن الكريم تخاطب العقول والأرواح والقلوب التى تشكل جوهر الناس، مما يجعل القرآن الكريم بحق هو معجزة المعجزات .

إلهى فى كل شئ القرآن الكريم . إلهى فى نسجه ونسيجه . إلهى فى ترتيبه وأسلوبه .

وإذ لم يستطع خصوم الإسلام أن يعثروا على أى تناقض داخلى به، حاولوا أن يوجدوا ما توهموه تناقضا خارجيا [١] قالوا: إن القرآن لم يوح إلى نبى الإسلام بالنظام والترتيب الموجود الآن بالمصحف الشريف الذى دون فيه القرآن الكريم .

وحقيقة الأمر هى أن القرآن الكريم أُوحى إلى نبى الإسلام عليه السلام فى

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن مصداقية القرآن الكريم ، انظر كتابنا : صدق الله العظيم.

حوالى ثلاثة وعشرين عاما على الأرجح ليتجاوب وحى السماء مع أحداث الأرض ، وليلبى القرآن الكريم مطالب كفاح المسلمين وهم يقيمون دعائم دولة الإسلام .

ولهذا السبب الحيوى القوى نزل القرآن الكريم منجما ليرشد المسلمين وليثبت به الله سبحانه وتعالى فؤاد النبى وليقوى به قلوب المسلمين ويثبت إيمانهم كى يتغلبوا على المصاعب الكبرى التى كانوا يواجهونها .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة۞ كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا۞ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ [1]

إن السؤال الحاسم بشأن هذا الاعتراض من جانب خصوم الإسلام هو : « هل للجهد البشرى أن يتدخل فى كلام الله » ، أم أنه لا ينبغى إطلاقا أن يكون ثمة تدخل بشرى فى « كلام الله » ؟

فى ضوء إجابة هذا السؤال ، وهى إجابة بديهية تقتضى وتقضى ألا يكون ثمة أى تدخل بشرى فى كلام الله من حيث « نصوصه » ، أو من حيث «ترتيب نزول سوره وآياته» ، أو من حيث « ترتيب وجودها فى كتاب الله » سبحانه وتعالى، فى ضوء إجابة هذا السؤال يتضح أن هذا الاعتراض الواهى لخصوم الإسلام يزيد القرآن الكريم مصداقية ولايقلل من هذه المصداقية بأى حال من الأحوال .

لقد استمرت عملية إنزال القرآن الكريم وفق مشيئة الله وكان يحتوى الوحى الإلهى وفق مشيئة الله من حيث هو سور القرآن وآياته الكريمة . وكان وقت نزول هذه الآيات وفق مشيئة الله .

وكان نظام موضعة السور والآيات الكريمة من حيث تسلسل ورودها فى المصحف الشريف وفق إرادة الله. لا شئ يتعلق بالقرآن الكريم تدخل فيه النبى عليه السلام عدا استلام الوحى إلهيا كما هو ، وتلاوته كما هو ، وجعل أتباعه يتلونه

---

(١) سورة الفرقان : ٣٢ ـ ٣٣ .

كما هو، وكان عليه السلام يأمر أتباعه أن يضعو ويثبتوا ويدونوا ويكتبوا آيات معينة أوحيت إليه فى مكان معين محدد من المصحف الشريف، محددا لهم ما قبلها ، محدداً لهم ما بعدها « وفق إرادة الله » لا « وفق إرادته هو» . وكان الروح الأمين جبريل عليه السلام هو الذى يطلع الرسول ﷺ على مكان كل آية من آيات القرآن الكريم بالمصحف الشريف. إن موضعة سور القرآن الكريم [١] وآياته الكريمة إلهية أيضا . إنها «توقيفية» كما يقول علماء مباحث القرآن العرب ، مما يعنى أن موضعتها فى المصحف الشريف إنما أمر الله العليم القدير بها رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام .

ومن العجيب حقا، ومن المماحكة صدقا أن يتوقف من يؤمن بمصداقية القرآن الكريم كله ، بكل محتواه المعجز ، لمجرد أن يبدى ارتيابا فى تسلسل وموضعة السور والآيات ، مع أن التسلسل والموضعة كليهما بأمر الله وإرادته ، تماما كما أن محتوى القرآن الكريم ذاته من لدن الله ووفق مشيئته.

وجدير بالذكر والاعتبار هنا أن نعرض بعض آراء مفكرى الغرب عن القرآن الكريم :

(أ) يقول چورچ سيل (Gearge Sale) فى مقدمة ترجمته لمعانى القرآن الكريم عن القرآن الكريم ما ترجمته إلى العربية قدر استطاعتنا كما يلى:

---

(١) قارن : البيان فى مباحث علوم القرآن ، لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب غزلان ـ ص (٦٠ ـ ٦٨) مطبعة دار التأليف ط : ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥م . وقارن أيضا : الدكتور محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص [١١٢-١١٤]حيث تم رفض مصحف جمعه المدعو : السيد محمد الباقر حسب التبليغ الإلهى ، أى حسب تسلسل النزول زمنيا بجمورية لبنان الشقيق .

«من المعترف به عالميا أن القرآن مكتوب بأبلغ أساليب البلاغة ، وبأجمل وأصح وأنقى لغة ، وبلهجة قبيلة قريش ، وهى أنبل القبائل العربية ، وأكثرها أصالة فى العروبة ، وأوفرها حظا من التحضر بين القبائل الأخرى ، وبالقرآن أيضا ألفاظ قليلة تنتمى إلى لهجات أخرى غير اللهجة القرشية وإن كان ضئيلا للغاية .

«ومن المعترف به أن لغة القرآن هى المثل الأعلى للسان العربى. ويعتقد المؤمنون بالقرآن، كما يقول القرآن نفسه: أن القرآن لا يمكن تقليده ، وتستحيل محاكاة بلاغة أسلوبه من قبل أى كاتب من البشر ، ولهذا السبب ولأسباب غيره يصر المؤمنون بالقرآن على اعتبار أن القرآن هو المعجزة، المعجزة الخالدة، وهى فى نظرهم معجزة أعظم من معجزة إحياء الميت. وهى بنظرهم كافية لإقناع العالم بمصدره الإلهى . ولقد اعتمد محمد نفسه اعتمادا تاما أساسيا على معجزة القرآن لتأكيدصدق رسالته متحديا أفصح الناس وأكثرهم بلاغة بين العرب الذين كانوا قد بلغوا فى عصره أعلى مستويات البلاغة العربية فى القول والتعبير وإنشاء الكلام شعرا ونثرا حيث كان الآلاف من العرب شغلهم الشاغل الوحيد هو التفوق فى صناعة القول وبراعة الكلام وبلاغة التعبير ، وتحداهم محمد تحديا علنيا أن يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن يمكن أن ترقى إلى مبلغ بلاغته .. وعجزوا » (أ . هـ)

(ب) وقال ڤون جوته **Von Goethe** ما ترجمته قدر استطاعتنا كما يلى :

« كلما التفتنا نحو القرآن يعترينا شعور بالرهبة والنفور فى البداية ، ولكن القرآن سرعان مايجتذبنا إليه، ثم يذهلنا ثم فى خاتمة المطاف يجبرنا على احترامه. إن أسلوبه المتسق مع محتواه ومع هدفه [١] جاد ، هائل، رهيب. وهو ـ فى كل وقت، على الدوام ـ رفيع المستوى ومتسام. وهكذا سيظل هذا الكتاب محتفظا بفاعليته على مر العصور، محدثا على الدوام أعظم وأقوى تأثير » (أ.هـ).

---

(١) حقا .. عندما نسأل : ما هو هدف القرآن الكريم ؟ الإجابة هى : الهداية .

(جـ) وقال توماس كارلايل **Thomas Carlyle** ما ترجمته قدر استطاعتنا كما يلى :

« الإخلاص ، الإخلاص بكل معانيه هو ما يبدو لى باعتبار أنه هو ميزة القرآن، هذا الإخلاص ، وذلك الدأب وذلك الجد، وذلك الاهتمام فى البحث عن الحقيقة دون تذبذب أو اهتزاز أو انحراف ، فى محاولة دائبة لتنمية أى تأثير يمكن إحداثه مهما يكن جزئيا لتطويره وتطويره لدى المستمعين ولو كانوا غير راغبين فى الاستماع يبدو لى أنه هو طابع وخاتم نبوة محمد، وهو طابع صادق ، وخاتم حقيقى أصلى لا يمكن إنكاره » (أ.هـ) .

القرآن الكريم هو معجزة المعجزات فى نظر المسلمين وفى نظر المنصفين من غير المسلمين . ولقد كان القرآن الكريم هو سند خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فى نضاله وصراعه ومعاركه الفكرية والعسكرية ولم يكن حوله عليه السلام سوى عدد ضئيل من المسلمين فى مواجهة الوثنية واليهودية والنصرانية التى دخلت وطيس المعارك الفكرية فى مواجهة الإسلام بوفد نصارى نجران، مما حدا بنا إلى استلهام أضواء القرآن باعتبار أن القرآن الكريم كان نور الهدى لنبى الإسلام فى مواجهته لوفد نصارى نجران الذى كانت تترقب نتائج مناظرته مع النبى عليه السلام جميع قوى العالم المناوئة للإسلام من وثنيين ويهود ونصارى الرومان .ولو افترضنا أن القرآن الكريم كان سند النبى عليه السلام فى مناظرته مع وفد نصارى نجران ، فلقد كان ذلك هو دافعنا إلى ما حاولناه بكل ما أتاحه الله لنا من جهود متواضعة لاستبيان مايذخر به القرآن الكريم من أنوار الهدى والبيان باعتبار أن الهدى القرآنى كان يشكل الخلفية المنيرة الوضاءة خلف وأمام ومن حول الطرف الإسلامى المتمثل فى شخص النبى عليه السلام إبان مناظرته مع وفد نصارى نجران .

وبالمثل، من الجهة الأخرى، لم يكن وفد نصارى نجران مجرد وفد مشكل من

أفراد لا خلفية لهم من ثقافات وعلوم. لقد كانت وراء أفراد وفد نجران ثقافة الكهنوت المسيحى بكل ما فى التراث المسيحى من تراكمات جاءت فوق تراكمات التراث الوثنى، فوق تراكمات التراث االيهودى فوق تراكمات الفكر الفلسفى اليونانى، وكان يحرك كل هذه التراكمات الإمبراطور الرومانى (١) الذى أمر وفد نصارى نجران بالتوجه إلى يثرب لمناظرة نبى الإسلام والتغلب عليه بين أتباعه فى عقر داره، ولكن الله نصر الحق وأزهق الباطل، ورجع وفد نجران بغير طائل مما كانت ترجوه كل القوى المناوئة للإسلام ..

---

(١) ليس غريبا ولاعجيبا أن يكون وفد نصارى نجران قد تحرك من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى وسطها لمناظرة نبى الإسلام عليه السلام بأوامر صريحة مباشرة من إمبراطور الرومان. لقد كان إمبراطور الرومان يعتبر عاهل المسيحية آنذاك. ولقد كانت الصلات وثيقة العرى بينه وبين عاهل الحبشة النصرانى وبين نصارى نجران. وواقعة طلب عاهل الرومان إلى ملك الحبشة أن يثأر من ذى نواس ملك اليمن ونجران لبطشه وإحراقه للمسيحيين أحياء واقعة ثابتة معروفة مما لايستغرق معه ولا يستبعد أن يكون إمبراطور الرومان الذى كان قد استلم رسالة مكتوبة من نبى الإسلام عليه السلام يطلب منه فيها الدخول فى الإسلام فطلب من وفد نصارى نجران أن يتحركوا، وهم المسيحيون الذين يجيدون العربية لمناظرة نبى الإسلام لهزيمة دعوته إلى الإسلام فى عقر داره بين أهله وأنصاره فيما كان يأمل إمبراطور الرومان.

قضى الإسلام على عبادة الأصنام

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى *وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى *فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى *ما كذب الفؤاد ما رأى * أ فتمارونه على مايرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى*عندها جنة المأوى*إذ يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * أفرأيتم اللات والعزى *ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى *إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى*أم للإنسان ما تمنى* فلله الآخرة والأولى ﴾(١).

من بين الأديان كلها، لم يقض على عبادة الأوثان دين من الأديان إلا دين الإسلام . ونبى الإسلام عليه السلام هو الذى حطم الأصنام بمكة علانية وإلى الأبد إذ سبق تحطيم الأصنام أمام العيان تحطيم القرآن الكريم للأوثان فى الأذهان .

لقد كان سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه إلى نبذ عبادة الأصنام ، وكان يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد . ولقد صبر سيدنا نوح صبرا طويلا على رفض قومه لدعوته أن ينبذوا عبادة الأصنام، ويصور القرآن الكريم هذه الحقيقة إذ يقول الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام:

﴿ ثم إنى دعوتهم جهارا * ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا *فقلت

---

(١) سورة النجم: ١ ـ ٢٥ .

استغفروا ربكم إنه كان غفارا* يرسل السماء عليكم مدرارا *ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * ما لكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا﴾ [١] .

وفضل قوم نوح الاستمرار فى عبادة الأصنام ولم يطيعوه بمن فيهم ابن سيدنا نوح. ويصور الحق تبارك وتعالى عنادهم وكفرهم وتمسكهم بعبادة الأصنام بقوله:

﴿ وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ﴾ [٢]

وكان قوم سيدنا نوح يتواصون ويتنادون فيما بينهم ألا يذروا عبادة الأصنام وهو ما سجله عليهم القرآن الكريم فى قول الله سبحانه وتعالى : **﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾**[٣]

إلى أى نتيجة أفضت جهود سيدنا نوح مع قومه؟ يخبرنا القرآن الكريم بتلك النتيجة السلبية المفجعة فى قوله تعالى :

﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا* إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ . [٤]

ثم جاء الطوفان . ولم يذر من عباد الأصنام من قوم نوح دياراً . لكن عبادة الأصنام امتدت بعد الطوفان. ومن العجيب حقا أن ظلت أسماء الأصنام التى كانت معروفة فى عهد سيدنا نوح عليه السلام مثل الصنم « سواع » ، الصنم « يغوث » والصنم «نسر» معروفة يعبدها بعض الوثنيين العرب [٥] حول دومة الجندل ، شمال غربى شبه الجزيرة العربيةقرب خليج العقبة .

وأبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، كان قد حطم الأصنام خلسة بينما كان قومه

---

(١) سورة نوح : ٨ - ١٤
(٢) سورة نوح : ٧
(٣) سورة نوح : ٢٣
(٤) سورة نوح : ٢٦ ـ ٢٧ .
(٥) انظر : الدكتور على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ـ ص (١٣٩ ـ ١٦٠) . مكتبة النهضة المصرية .

خارج المدينة نزولا على مقتضيات عيد من أعيادهم ، ووضع سيدنا إبراهيم الفأس في عنق أكبر أصنام قومه . وعندما سألوه : من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ قال لهم سيدنا إبراهيم عليه السلام : كبيرهم هذا فاسألوه! أمسكوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وألقوا به في النار، وكانت النار بردا وسلاما على سيدنا ابراهيم عليه السلام.. ثم رحل سيدنا إبراهيم عن قومه ميمما صوب الشمال ثم استدار في رحلته غربا وجنوب غرب ميمما نحو مصر ، وظل قوم سيدنا إبراهيم من بعده كما كانوا قبله يعبدون الأصنام إلا قليلا من أهل بيت سيدنا إبراهيم مثل سيدنا لوط عليه السلام . وكان محمد بن عبد الله هو الذى حطم الأصنام علانية أمام العيون بعد أن كان القرآن الكريم قد حطم الأصنام في الأذهان .

ورغم أن كثيرا من اليهود كانوا قد هربوا إلى شبه الجزيرة العربية فرارا من اضطهاد جنود الرومان لهم بعد أن تحول أباطرة الرومان إلى المسيحية وتحولت رماح وسيوف الرومان نحو رقاب اليهود، ورغم أن اليهود كانوا قد كونوا لأنفسهم تجمعات كبيرة في البقاع المأهولة من شبه الجزيرة العربية في يثرب وتبوك وخيبر وغيرها ، واحترف أولئك اليهود تجارة الخمور وأداروا بيوت الدعارة واللهو والفجور بالإضافة إلى صناعة السلاح وتجارته وبعض الزراعة عندما تعاظمت ثرواتهم فاشتروا الحدائق والبساتين، إلا أن تعاليهم وغرورهم لأنهم بنو إسرائيل ، أرقى من العرب وأفضل عنصرا، فضلا عن التحريفات والتعقيدات التى أدخلوها في ديانتهم وانغلاقهم على أنفسهم للنزعة العنصرية العنيفة المتأصلة في جبلتهم كل هذه الأسباب جعلت العقيدة اليهودية المنغلقة على بنى إسرائيل عاجزة تماما عن التصدى للوثنية . ولم يحاول اليهود بالفعل أدنى محاولة باتجاه القضاء على عبادة الأصنام ، واكتفوا بأن يبيعوا للعرب الوثنيين الخمور والفجور والسلاح وأن يؤججوا بين القبائل العربية نيران الحروب لكى يبيعوا لهم المزيد من السلاح ليزداد اليهود ثراء على ثراء ويزداد العرب الوثنيون من

اليهود ومن دينهم نفورا فوق نفور.

ولم تكن النصرانية التى كان رهبانها فى الغالب من النساطرة وأتباع آريوس بأوفق حظا فى النفاذ إلى قلوب العرب الوثنيين على الرغم من أنهم كانوا أسبق من اليهود هجرةإلى صدر الجزيرة العربية . كانت المسيحية بتحريفاتها وتعدد مذاهبها قدغدت ديانة شديدة التعقيد مذبذبة بين تأليه المسيح وبشريته ، فلم تستسغها طبيعة العرب الصريحة الواضحة التى تنفر من التلاعب بمعانى الألفاظ والتخبط بين الحقيقة والمجاز دون وجود قرينة تمنع من الخلط بين الحقيقة والمجاز، والعرب قوم لا يجوز عليهم التلاعب بمعانى الألفاظ فآثروا عبادة الأصنام وفضلوها عن اعتناق المسيحية ذات الأقانيم . وكانت أصنام العرب وأوثانهم بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إليهم من الآب الذى فى السماء ، ولم يكن مد همزة حرف الألف فى همزة «الأب» كافيا أن يجعل للأبوة وللبنوة معنى غير المعنى الذى حدده العرب لكلمة «الأب» وكلمة «الإبن» فعجزت المسيحية عن النفاذ إلى قلوب العرب، ولم يدخل المسيحية من العرب إلا قليل منهم، استهواهم الغموض، ودفعهم إلى الدخول فى المسيحية حب الاستطلاع ، وكان مصير هذه القلة القليلة من العرب هو النبذ الذى اضطرهم إلى العيش فى عزلة عن المجتمعات والتجمعات السكانية للعرب تفوق عزلة اليهود بين العرب الوثنيين .

ومن السذاجة أن يتصور أحد أن الوثنية كانت هشة الجذور . كانت للوثنية فلسفتها الطوطمية . كان الصنم مهما كانت المادة التى صنعوا منها الصنم رمزا لأبناء القبيلة التى تعبده كما أن العلم وراية العلم رمز لانتمائهم الذى شبوا وشابوا عليه وميل النفوس إلى المحسوس أقرب إلى النفوس من الاستئناس إلى المعقول الذى يحتاج إلى انتقال المدارك من المحسوسات القريبة إلى المعقولات البعيدة ، وآماد نظر البصر أسهل وأقرب من آماد نفاذ البصيرة. كان الوثنيون يدركون بطبيعة الحال أن الحجر أو

الخشب أو أى مادة جامدة قدوا منها أصنامهم غير جدير بالعبادة فى ذاته كوثن بدليل احتجاجهم بقولهم ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾، وهو تبرير لئيم مخادع مراوغ عندما يلجأون إليه ويخفون حماقة كفرهم وراءه . أنت تنعى على الوثنى أنه يعبد الصنم ، فيراوغك قائلا : أنت مخطئ فيما تنعاه على .. أنا لا أعبد الصنم فى ذاته لذاته . إنه مجرد رمز للإله ، ولا يهم ما إذا كان يخلط بعد نجاحه فى المراوغة بين الغاية والوسيلة كمن يحرص على جمع المال لتحقيق غاية ثم يصبح جمع المال فى ذاته غاية بصرف النظر عن عدم وجود الغاية. ومثل هذا الوثنى من الصعب جدا الجدل معه بالحسنى عندما يلجأ إلى مثل هذه المراوغة ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى لمن يراوغ هذه المراوغة قائلا: ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ فيرد الله على مراوغتهم هذه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إن الله يحكم بينهم فى ماهم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ [١] ولو كذب الوثنى على الناس وأخفى حقيقة الكفر والشرك، لن يستطيع أن يكذب على الله يوم القيامة وكل ما فى الأمر أن مراوغة الوثنى وإخفاءه الكفر والشرك يمكنه من عدم الانقياد إلى الحق والهدى ليوغل فى الكفر والضلال ليحق عليه يوم القيامة عذاب النار.

لم يكن التصدى للوثنية مهمة سهلةوقد تغلغلت عبادة الأصنام بين غالبية الأنام على مدار التاريخ وتوالى الأيام . و لعبت الوراثة ، وراثة الدين لوراثة المال، دورا كبيرا فى ترسيخ الوثنية وعبادة الأصنام بين الأنام قبل ظهور الإسلام.

يشب الأبناء على دين الآباء بكل اعتزاز وشمم وإباء فى الغالب الأعم مع قليل من الاستثناء. ويغدو الانسلاخ عن الدين انسلاخا عن الأسرة أو القبيلة أو العشيرة. وإذا كان فى الأرض متسع لمن يريد هجر الوطن، فإن للغربة ثمنها الباهظ عندما

---

(١) سورة الزمر : من الآية ٣ .

يصبح الإنسان وهو كائن اجتماعي بطبعه وقد تحتم عليه أن ينخلع عن مجتمعه وأهله وعشيرته وأصدقائه وأبنائه وزوجته لو اضطر الإنسان إلى الهجرة بمفرده ، فضلا عند حرمانه من المال أو امتلاك أى عقار لو استحال عليه نقل المال إلى محل هجرته ، ويضاف إلى ذلك جهل اللغة والعادات والتقاليد . هذه بعض تكاليف الهجرة فى العصر الحديث، وكانت تكاليف الهجرة قبل ظهور الإسلام أفدح وأكبر دون ريب. وهكذا لم يكن انسلاخ إنسان عن دين قومه وأبيه وأجداده أمرا سهلا ميسورا ، بل كان فى الغالب الأعم أمرا إدا خطيرا محظورا .

وعندما كان الوثنى يفقد كل حجة لتبرير عبادة الأصنام، كان يحتج بأنه قد وجد آباءه يعبدون الأصنام. ولقد ترددت كلمة «آباءنا» فى كثير من آيات القرآن الكريم مثل :

أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ... [الزخروف: ٢٤]

قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .... [البقرة: ١٧٠]

(ولقد رد القرآن الكريم على مقولتهم تلك بقوله تعالى) :

أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .. [البقرة : ١٧٠]

قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا .. [يونس : ٧٨]

بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .. [الشعراء : ٧٤]

ولقد كان القرآن الكريم ينعطف بالحوار المنطقى نحو عباد الأصنام والأوثان فى كثير من آيات القرآن كما أسلفنا أمثلة لذلك على سبيل المثال لا الحصر .

ولم يدع القرآن لهم أى مهرب أو مفر، فلم تنهض للوثنيين حجة إلا دحضها القرآن الكريم دحضا بليغا حاسما ، ولم يدع القرآن لهم ذريعة إلا قضى عليها، ولم يترك لهم دليلا إلا هدمه هدما تاما، ولذلك كانوا يشكون إلى رسول الله ذاته يرجونه أن يخفف عنهم هجوم القرآن على الأوثان. كانوا يشكون مر الشكوى من أن

محمدا ﷺ يشتم آباءهم فيما يدعون، ويسفه أحلامهم فيما يزعمون، ويعيب آلهتهم فيما يشتكون ، ولم يكن الأمر متوقفا على إرادة سيدنا محمد ﷺ بل كان الأمر متصلا بمشيئة الله ، وكانت آيات القرآن الكريمة ببلاغتها المعجزة ومنطقها الحاسم وكمال حجيتها وإعجاز صياغتها تترى وتتابع وتتوالى لا تترك لعباد الأصنام والأوثان مجالا لراحةالفكر أو هدوء البال .

ومعارك الفكر تسبق دائما معارك السيف.

ولقد كفل القرآن الكريم للمسلمين نصرا حاسما فى معارك الفكر ، وجعل الله كلمة المسلمين هى العليا، وكلمة الكفار عباد الأصنام والأوثان هى السفلى، ولقد كان يكفى فى هذا الميدان من ميادين الحرب الفكرية أن يتلو المسلمون آيات القرآن الكريم التى يرد بها تسفيه عبادة الأصنام ووعيد الله لعبادها بشديد العذاب وفظيع الانتقام يوم يبعث الناس للحساب بين يدى الحى القيوم ، وآيات القرآن الكريم التى تعد المؤمنين بعقيدة التوحيد الإسلامية بجنات النعيم المقيم .

وإذ عجز الوثنيون عن الجدال والدفاع عن عقائدهم الوثنية بالحوار تحولوا إلى ممارسة الضغوط الإجتماعية والاقتصادية ضد جماعة المسلمين الأوائل المحدودة العدد. كما أنهم لجأوا إلى إنزال العقوبات البدنية على المستضعفين من المسلمين فكان أبو جهل، عمرو بن هشام إذا سمع بإسلام رجل من ذوى العصبية والشرف اكتفى بتأنيبه وتعنيفه كأن يقول له : « لقد تركت يافلان دين أبيك وهو خير منك. لنسفهن حلمك ولنقيلن رأيك، ولنضعن شرفك» ولو سمع أبو جهل بإسلام رجل من المستضعفين بطش به أو أغرى من يستطيع البطش به أن يوقع عليه العقاب البدنى والأذى، ولقد كان مشركو قريش يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه إلى الصحراء إذا حميت رمضاء الظهيرة ويعذبونهم فى حرها . وكان الرسول عليه السلام يمر بهم فيقول لهم : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

ويذهب أحكم سادة قريش وهو عتبة بن ربيعة إلى النبى عليه السلام فى محاولة لإقناعه بالكف عن دعوته أو لإقناعه بعدم التعرض للوثنية على الأقل. ويكشف الحوار عن أبعاد الصراع الفكرى بين الإسلام والوثنية إلى حد كبير.

قال عتبة بن ربيعة : يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت . إنك من خيارنا حسبا ونسبا ولقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال عليه السلام : أسمع يا أبا الوليد. (كنية عتبة). قال عتبة بن ربيعة : يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، و إن كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. (تتبع الاحتمالات يدل على براعة وحنكة وحكمة ودبلوماسية وقدرة على الإغراء ويدل الحوار دون ريب على مدى تهافت قريش على مساومة النبى عليه السلام لكى يتوقف عن الدعوة إلى الإسلام . ولكن الحوار مع خاتم الأنبياء بشأن صميم دعوته إلى الله لا مجال فيه للمساومة أو الإغراء أو أنصاف الحلول).

قال عليه السلام : أفرغت يا أبا الوليد؟

قال عتبة: نعم.

قال عليه السلام . فاسمع منى. بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ **حم* تنزيل من الرحمن الرحيم *كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون*بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون** ﴾ (١)

---

(١) سورة فصلت : ١ ـ ٤ .

وهكذا لم يكن جواب النبى عليه السلام لعتبة بن ربيعة شيئا آخر غير آيات من القرآن الكريم، وكان فيها فصل الخطاب.

ماذا يمكن أن يفهم عتبة ؟ وماذا يمكن أن يفهم كل من يطلع على هذا الحوار؟ إغراء الدنيا فى جانب أحد أطراف الحوار ، وآيات القرآن الكريم فى الجانب الآخر من الحوار. ولقد فهم عتبة بن ربيعة ـ وكان من حكماء العرب ... مغزى اقتصار رد محمد ﷺ على آيات من القرآن الكريم. ورجع عتبة إلى قومه وقد تأثر أبلغ التأثر بجواب محمد ﷺ الذى اقتصر على تلاوة آيات من القرآن الكريم .

كان مغزى جواب محمد ﷺ على هذا النحو الذى أسلفناه يعنى أن الأمر ليس أمر دنيا ، بل هو أمر دين . ولا يتوقف هذا الشأن بحكم طبيعته على إرادة ورغبة محمد ﷺ كإنسان ، بل هو شأن من شئون الله ، لا يملك محمد عليه السلام البت فيه ، ولكن يملك البت فيه الله سبحانه وتعالى .

وعندما سأل الوثنيون من قريش عتبة بن ربيعة عما وجده عند محمد ﷺ وعما أسفر عنه حواره معه قال لهم : إنى سمعت قولا ما سمعت مثله قط . واللات ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعونى واجعلوها لى، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه » .

ولم تعجب نتيجة سفارة «عتبة» كفار قريش وانبرى النضر بن الحارث يقول: «لقد سحرك محمد ياأبا الوليد! بم جاءنا محمد، واللات ما محمد بأحسن حديثا منى» .

أنصف عتبة تقدير ما كان قد سمعه من كلام النبى آيات بينات من القرآن الكريم ، واستخف النضر بن الحارث كما يستخف بعض الكفار بشأن محمد ﷺ فى عالم اليوم . وبشأن ادعاء النضر بن الحارث أن كلامه أحسن من القرآن الكريم كان طبيعيا أن يرد عليه القرآن الكريم فنزل قوله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب**

مهين ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ﴾ (١)

وإذ فشلت سفارة « عتبة بن ربيعة »رغم ضخامة محتويات تفويضه ، عرف الوثنيون من قريش أنه لم يعد أمامهم سوى ممارسة الضغوط .

كان محمد ﷺ يعيش فى منعة حماية عمه أبى طالب الذى كان مرهوب الجانب . وذهب إلى أبى طالب أبو سفيان بن حرب على رأس وفد من قريش ، وقالوا له : « يا أبا طالب . إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا (يقصدون أنه عليه السلام حكم أن آباءهم كانوا فى ضلال) فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فسنكفكه» .. ووعدهم أبو طالب أنه سيبذل قصارى جهده راجيا أن يوفق فى إصلاح ذات البين .

استدعى أبو طالب محمدا عليه السلام، وقص عليه رسالة قريش ، وما تتضمه من إنذار صريح بالحرب ، وقال له : « فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق » .

إنذار بالحرب إذ لم تجد نفعا سفارة الإغراء من قبل . وكان من الضرورى أن يجيب محمد ﷺ عمه أبا طالب ، فقال : ياعم ! والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»

وهكذا لم يجد ترغيب ولا ترهيب فى ثنى النبى الحبيب عن آداء رسالة الله إلى خلق الله من البشر جميعا. وكان عمه أبو طالب يترقب جواب ابن أخيه ، وراعه وأعجبه جواب ابن أخيه وما يتضمنه من ثبات على المبدأ والعقيدة رغم كل الترغيب والترهيب. وإذ كان ابن أخيه يهم بالانصراف استبقاه عمه أبو طالب ليقول له :

---

(١) سورة لقمان : ٦ ـ ٧

«اذهب ياابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشئ تكرهه أبداً» . وأفضى أبو طالب إلى بنى هاشم وبنى المطلب بقول ابن أخيه، وبموقفه غير المتخاذل معه، شأن العربى القرشى الأبى المنحدر من سلالة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . وأوصى أبو طالب أن يلتزم بنو هاشم وبنو المطلب بموقفه من حماية محمد ، وهو لم يرتكب مما ألف العرب جرما ، إنه يدعو إلى عبادة ربه، ومن حقه أن يدعو إلى عبادة ربه. كان حق محمد ﷺ فى الدعوة إلى ربه من الوضوح بحيث التزم بنو هاشم وبنو عبد المطلب بحماية محمد ونصرته فيما عدا أبو لهب الذى ناصب النبى أشد العداء وهذه بطبيعة الحال مسألة أخرى منفصلة تمام الانفصال عن قبول الدخول فى الإسلام أو عدم الدخول فيه . إنها مسألة تتصل بعادات أشراف العرب وتقاليدهم .

وبدأت جولات من الحرب الباردة الضارية بين الوثنيين وبين بنى هاشم وبنى عبد المطلب . وزادت ضراوة اضطهاد وتعذيب المستضعفين من أتباع محمد ﷺ. وعمد المشركون إلى استخدام سلاح الحرب الاقتصادية ضد بنى هاشم وبنى عبد المطلب، ولا ريب أن الحرب الاقتصادية فى بلد يعتمد على التجارة ، وغالبيته لا تزال من المشركين سلاح بالغ التأثير إذ يمس المصالح الحيوية ومطالب العيش فى الصميم . وبلغت هذه الحرب الاقتصادية ذروتها فى تلك «الصحيفة » التى اتفق مشركو قريش على بنودها وعلقوها على جدار الكعبة المشرفة لكى يجعلوا لها أكبر قدر من القدسية والاحترام وليلتزموا فيها جميعا أتم التزام ألا يبيعوا أو يشتروا وألا يصاهروا بنى هاشم وبنى عبد المطلب حتى يضطروهم إلى خلع محمد وإلى أن يسلموه إليهم!

ولقد أفضى تعذيب المستضعفين من المسلمين إلى أن نصحهم النبى عليه السلام بالهجرة إلى الحبشة « فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» على حد قوله لهم ﷺ. أو كما قال عليه السلام.

وكان عدد أول دفعة من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة هو ثلاثة عشر نفرا

من المسلمين . ولقد عادوا إلى مكة عندما سمعوا بزيادة عدد المسلمين بها، وسمعوا عن نقض صحيفة مقاطعة بنى هاشم، وسمعوا عن إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومجاهرته بالإسلام . ولكن اضطهاد المشركين للمسلمين كان فى حقيقة أمره قد ازداد ولم يقل . وهاجرت دفعة ثانية من المسلمين إلى الحبشة مرة أخرى وبلغ عددهم هذه المرة ثمانين رجلا غير نسائهم وأطفالهم .

ومن الغريب حقا أن أخذت الحرب بين المشركين الوثنيين وبين الإسلام مظهرا سياسيا دبلوماسيا أيضا .

وإن الإنسان ليعجب : ماذا عساها أن تكون دوافع الوثنيين فى مكة كى يرسلوا سفيرين ، هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعهما الهدايا إلى النجاشى ملك الحبشة لكى يرد المهاجرين المسلمين من الحبشة إلى مكة؟

ولنتأمل خطة عمرو بن العاص بين يدى النجاشى ، ولنتأمل رد جعفر بن أبى طالب ، لتتضح لنا معالم حرب أيديولوجية دبلوماسية حامية الوطيس ، ومن المدهش حقا أن حسمها القرآن الكريم لصالح المسلمين .

قال عمرو بن العاص : « أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم . فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه » (أ.هـ)

وقال جعفر بن أبى طالب: «أيها الملك. كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف

عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .... وصدقنا به واتبعناه فيما جاء به من الله، فعبدنا الله لا نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأرادونا أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك» .

قال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله شئ تقرؤه على ؟»

قال جعفر : «نعم»

وتلا عليه جعفر سورة مريم من أولها إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت وأو صانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا *وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا *والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا** ﴾[1]

قال القساوسة بحضرة النجاشى : هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح » .

وقال النجاشى : «إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة» .

ثم التفت النجاشى نحو عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة وقال لهما : «انطلقا والله لا أسلمهم إليكما» .

عمرو بن العاص، داهية العرب، لم يكن قد دخل فى الإسلام بعد. لم يكن عمرو بن العاص ليستسلم للهزيمة بسهولة .

---

(١) سورة مريم : ٢٩ - ٣٣ .

طلب مقابلة النجاشى صباح اليوم التالى فلما أدخل عنده قال للنجاشى: «إن المسلمين يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما. فأرسل إليهم وسلهم عما يقولون فيه». فلما سألهم أجابه جعفر بن أبى طالب بقوله : « فيه نقول الذى جاء به نبينا . إنه يقول إنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول». فأخذ النجاشى عودا وخط به على الأرض وعلامات السرور بادية عليه وقال : « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط».

ومهما تكن أسباب نبى الإسلام عليه السلام فى توجيه مهاجرى المسلمين نحو الحبشة، ومهما تكن أسباب المشركين فى محاولة استردادهم، ومهما تكن براعة عمرو فى المغالطة ، فلقد حسمت آيات القرآن المعجزة هذه المناظرة لصالح المسلمين الذى حظوا بمعاملة طيبة لدى النجاشى بالحبشة. ويمكن أن نستخلص من هذه المناظرة الانطباعات الأولية التى أبداها النجاشى ورجال الدين المسيحى حوله لدى اطلاعهم على مبادئ الإسلام . ولا ريب فى وجود بعض طوائف المسيحية التى لم تكن قد ابتعدت كثيرا عن تعاليم المسيح الحقيقية فى ذلك الزمان، ولم يكن جوهر تعاليم المسيح الحقيقية سوى الدعوة إلى عبادة الله واتباع هدى الله وطاعة أوامره، والانتهاء عما نهى عنه الله سبحانه وتعالى. ويمكن أن نستخلص أيضا ضراوة الحرب التى شنها المشركون الوثنيون بمكة ضد دعوة الإسلام واتساع نطاقها وتعدد جبهاتها.

لم يقف المشركون الوثنيون بمكة مكتوفى الأذهان فى أتون المعارك الفكرية الكبرى التى دارت رحاها منذ نزول القرآن ودعوة محمد للناس إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام والإيمان بالبعث والحساب يوم القيامة . لقد قاوموا مقاومة ضارية، وخاضوا غمار حرب عنيفة ضد الإسلام واستخدموا كل الأسلحة مهما كانت محرمة إذ لم تكن طبيعة الموقف تتيح أمامهم إلا فرصة استخدام التهم الباطلة التى كالوها إلى الإسلام وإلى نبى الإسلام عليه السلام وحاولوا أيضا التطاول على القرآن

الكريم .

هاجموا كل شئ فى الإسلام بالأباطيل والأوهام . قالوا عن النبى عليه السلام إنه كاذب . وقالوا ساحر . وقالوا شاعر . وقالوا إنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق . إنه مثلنا فلماذا يؤثره الله بميزة تلقى الوحى الإلهى قرآنا يتلوه علينا دون أن يتاح ذلك لنا؟ وقالوا : لماذا لم يرسل الله ملكا رسولا؟ وقالوا : لماذا لم يأت بمعجزات كمعجزات الأنبياء السابقين، متغافلين عن أن القرآن هو معجزة المعجزات وسجلها!

كان المشركون يعقدون الندوات ليناقشوا كيف يخوضون حرب الدعاية ضد الإسلام وضد نبى الإسلام وضد المسلمين الأوائل. ولنتأمل ما دار فى إحدى هذه الندوات التى كان يديرها الوليد بن المغيرة .

اقترح أحدهم أن يقولوا : إن محمداً كاهن .

قال الوليد: كلا إن ما يقوله محمد ليس بزمزمة كاهن وليس ما يقوله محمد سجع كاهن.

اقترح أحدهم أن يقولوا: إن محمداً مجنون.

قال الوليد: لا تبدو عليه علامات الجنون وظواهره.

واقترح أحدهم أن يقولوا: إن محمداً ساحر.

قال الوليد: إن محمداً لاينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئا.

قالوا : فماذا نقول إذا؟

قال الوليد: قولوا: إن محمداً «ساحر البيان» . إن ما يقوله محمد سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته. حذروا الناس فحسب من كلامه ومن قرآنه .(أ.هـ) .

وهكذا نصحهم خبير الدعاية أن يمزجوا الباطل بشئ من الحقيقة . نصحهم ألا

تكون أكاذيبهم واضحة مفضوحة. إن اتهام محمد فى نظره بالسحر المتعارف عليه يجعل الاتهام عاريا من الصحة يدحضه ويهدمه عدم ممارسة محمد للسحر فعلا. فليكن السحر الذى يتهمون به محمداً فيما يقترح خبير الدعاية من نوع جديد من السحر تحار فى معرفة كنهه الأذهان . فليكن السحر الذى يتهمون به محمدا فيما يقترح خبير الدعاية ، الوليد بن المغيرة ، هو « سحر البيان » !

وفى ندوة أخرى عقدها المشركون بدار الندوة ناقشوا مسألة التصفية الجسدية للنبى ﷺ. وتحدثنا كتب السيرة أن نقاشهم قد جرى على هذا النحو :

قال أحدهم: لقد اشتد علينا خطر محمد بعد بيعتى العقبة لقد أصبح له أتباع اعتنقوا دينه فى يثرب . فماذا نحن صانعون.

قال آخر: نخرجه من أرضنا، وننفيه إلى مكان بعيد ولا نبالى من أمره بعد ذلك شيئا .

قالوا : لو أخرجناه إلى أى مكان آخر سيجد له أتباع يزدادون عددا كل يوم . إننا نخشى انتشار دينه فى كل الجزيزة العربية مما يهدد تجارتنا وأرزاقنا .

قال آخر: نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء الذين نحبسهم حتى الموت.

قالوا : إن حبسناه ليظهرن أمر حبسه بين أتباع دينه . ولقد ازداد عددهم بيننا . ولقد دخل دينه كثير من أبناء العشائر وهذا هو ما يمنعنا من شن الحرب على أتباعه خوفا من أن تشمل الحرب عشائرنا جميعا .. سيثب أتباعه ليخلصوه من أيدينا لو حبسناه .

قال أبو جهل عمرو بن هشام: إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

فالوا ما هو؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل واحد منهم سيفا صارما ليعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه ويتفرق دمه بين القبائل جميعا فلا يقوى بنو هاشم على أخذ

ثأر ، ويرضون بالدية فنعطيها لهم .

ووافق المجتمعون من مشركى قريش على الرأى الخبيث وشرعوا فى تنفيذه. لقد كان خطر انتشار الإسلام يزداد عليهم يوما بعد يوم . هاهم أولاء أتباع محمد يهاجرون إلى يثرب ، ولقد أصبح للمسلمين بيثرب قوة يخشى منها مشركو مكة على مكة وعلى طرق التجارة التى تمر بيثرب ولم يبق من المسلمين بمكة تقريبا سوى رسول الله وأبو بكر الصدبق وعلى بن أبى طالب. وفى ذات الليلة التى أزمع المشركون فيها أن يقتلوا محمداً ﷺ كان محمد قد أزمع الهجرة إلى يثرب كما أمره الله بالهجرة إذ لم يكن قد بقى بمكة من المسلمين سواه وأبو بكر وعلى بن أبى طالب. وعندما كان شاب جلد نسيب وسيط من كل قبيلة من قبائل المشركين قد استل سيفه ووقف متربصا بمنزل النبى بمكة كما كان قد خطط لذلك أبو جهل عمرو بن هشام بدار الندوة، كان النبى ﷺ قد بارحها بصحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى كان قد أعد راحلتين لهذا الغرض حتى آذنه النبى أن أمر الله له عليه السلام بالهجرة إلى يثرب قد حان حينه. وعندما طلع النهار، ولم يخرج محمد من باب الدار عند طلوع الفجر كما تعود ، نظر شباب الكفار المنتخبون من قبائل المشركين فى فراش محمد فلم يجدوا به سوى سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه .

وباءت آخر محاولة لمشركى مكة لتصفية نبى الإسلام عليه السلام جسديا كما سول لهم شيطانهم أن يخططوا ، ونزلت آيات القرآن الكريم تدمغ التآمر الإجرامى الذى بلغته ضراوة حقد المشركين عباد الأصنام وتكشف عن ظلمهم وطغيانهم وتوضح مصيرهم ومآلهم إذ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ۞ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ۞ إن هذا إلا أساطير**

الأولين ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴿ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون﴾قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قدسلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾ وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾[١].

فى خضم تلك الحرب السافرة بين نبى الإسلام عليه السلام وبين المشركين كانت آيات القرآن الكريم تترى وتتنزل من السماء إلى محمد مدداً إلهيا متدفقا مستمرا . ولقد طال اقتباسنا لآيات الله الكريمة فى هذا الموضع الذى نحاول فيه تصوير أبعاد وضراوة الحرب التى نحاول دارستها. وفى الآيات التى أشرنا عليها صور متلاحقة متماسكة متكاملة توضح بإعجاز بالغ طبيعة هذه الحرب ومداها وأبعادها . انظر أيها القارئ كيف رصد القرآن الكريم ما نطلق عليه اليوم «تحديد أيديولوجية» الطرفين المتحاربين وهو التحديد الذى يجيب أسئلة مثل : لماذا الحرب؟ وفيم الحرب؟ وماذا يمكن أن تسفر عنه الحرب؟ وتطلعنا آيات القرآن الكريم على إجابات لأسئلة أخرى .

وانظر أيها القارئ الكريم كيف دمغ الله المشركين بالممارسة الإجرامية العدوانية

---

(١) الأنفال : ٣٠ـ ٣٩.

التى تتمثل فى محاولتهم قتل النبى المسالم غير المحارب غيلة وغدراً. ولقد كشف الله سبحانه وتعالى محاولتهم الإجرامية تلك لرسوله الكريم عليه السلام قبل وقوعها ونجاه منها .

وتأمل أيها القارئ الكريم كيف يقذف الله الرعب فى قلوب المشركين إذ يجعل مكرهم الوضيع لا فى مواجهة مكر بشر مثلهم، ولكن فى مواجهة مكر الله سبحانه وتعالى، «والله خير الماكرين» وعما يمكن أن يسفر الصراع بين مكر المشركين ومكر الله خير الماكرين؟ أولى بالمشركين ثم أولى أن يتوقفوا عن حربهم الخاسرة !

وانظر كيف يعرض القرآن الكريم بالموقف الفكرى أو قــل «بأيــديولوجية المشركين» ويسخر منها كما يدمر موقفهم الفكرى ودعايتهم المضادة. وأنى للمشركين أن يقولوا مثل آيات القرآن الكريم! ومن المستحيل وجود صلة بين مشرك وبين وحى السماء؟! محال محال! وإذ يتم القرآن الكريم حصاره حول أيديولجية المشركين ، ويفضى بهم إلى اليأس التام، يفتح لهم باب الاستسلام كما تقضى بذلك أصول الحرب تحقيقا لهدف الحرب من أقصر الطرق بأقل خسائر وبأقل مجهود وفى أقصر وقت! الله أكبر! ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾، فياله من خطأ جسيم ارتكبه كفار مكة إذ يخرجونه! ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ يفتح الله أمامهم باب التوبة والمغفرة، فلم لا يدخلون؟

وكان لابد لهذا التخطيط الإلهى الحكيم من أن يؤتى الثمار، وكان لابد أن يتحقق للإسلام الانتصار ، وتقلص باستمرار الوقت معسكر الكفار، وازدادت قوة الإسلام بزيادة عدد المسلمين والأنصار باستمرار.

ويستطيع القارىء أن يدرك بسهولة أن هدفنا فى هذه الدراسة الوجيزة لا يمكن بحال أن يتطاول إلى محاولة التأريخ للسيرة النبوية أو ظهور الإسلام بكل تفاصيلها . ويستيطع القارئ الكريم أن يلتمس ذلك فى كتب السيرة النبوية الشريفة التى دونها علماء السيرة الأفذاذ بدقة بالغة الإعجاز.

وإذ شارفت اللمحات التى أشرنا إليها تمام هجرة المسلمين الكبرى من مكة إلى « يثرب » التى أصبحت بعد الهجرة تحمل اسما آخر هو « المدينةالمنورة » بعد معاناة المسلمين ثلاثة عشر عاما من التعذيب والاضطهاد بمكة نجد أن كفار مكة آنذاك يحاولون الخروج وراء النبى عليه السلام وصاحبه أبى بكر ليردوهما إلى مكة، وربما لأهداف أخرى.

حتى تمام هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة، لم يكن المسلمون قد شهروا سيفا أو شنوا على أعدائهم حربا، وكان الأمر قدوصل بكفار قريش أن يختاروا من كل قبيلة فتى شابا جَلْداً، وأن يعطوا كل فتى سيفا صارما بتارا ليضربوا محمدا ضربة رجل واحد ليتفرق دمه بين القبائل ، ولا يستطيع بنو هاشم وبنو عبد المطلب أن يحاربوا العرب جميعا فيرضون بالدية ويعطونها . دم ومال !

وإشارة إلى استعداد المشركين لبذل المال فى سبيل حرب الإسلام دفاعا عن وثنية الكفار يقول القرآن الكريم موبخا لهم مبينا سوء مآل ما يبذلونه من أموال فى هذا السبيل : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾. (١)

ولقد رصد كفار مكة جائزة ، مائة من الأبل لمن يرد إليهم محمداً وأبا بكر عن الهجرة من مكة إلى يثرب.

وبعد هجرة النبى عليه السلام وأتباعه من مكة إلى المدنية سيأخذ الصراع بين الكفار الوثنيين وبين المسلمين طابع المعارك الحربية بين طرفين أو بين جيشين .

ولقد حدد القرآن الكريم الهدف من الحرب بدقة حاسمة بأنه هو « تحقيق حرية العقيدة للناس » . وتتوقف مشروعية الحرب فى الإسلام دون ريب على ما إذا كان مجتمع من المجتمعات يصد المسلمين ويمنعهم من اعتناق الإسلام، وهو الأمر الذى كان يمارسه كفار مكه ما استطاعوا إلى ممارسته سبيلا. كان المسلمون الأوائل يعذبون ويضطهدون فى مكة وكان الرسول عليه السلام ينهاهم عن الحرب والقتال قائلا لهم بصريح العبارة: « لم يؤذن لى» .

---

(١) سورة الأنفال : ٣٦ . .

ولقد حددت أول آية تسمح للمسلمين بحرب المشركين هدف القتال بكل دقة في ذات النص الذى اقتبسناه من سورة الأنفال إذ قال الله سبحانه وتعالى : **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾**(١)

وهكذا اضطر المسلمون إلى خوض حروب ومعارك ضد المشركين عباد الأصنام مثل معركة «بدر الكبرى» في شهر رمضان من العام الثانى للهجرة وانتصر فيها المسلمون نصرا مبينا. ومعركة « أحد » في شهر شوال من العام الثالث للهجرة. انتصر المسلمون في بدايتها نصرا مبينا ثم انهزموا لمخالفة الرماة أوامر النبى لهم بعدم مغادرة مكانهم فوق جبل أحد لحماية ظهر المسلمين من هجوم خيالة المشركين، وكانت مخالفة الرماة لأوامر النبى ثغرة لمحها خالد بن الوليد قائد خيالة المشركين ولم يكن قد أسلم بعد، فهاجم المسلمين من وراء ظهورهم. وكانت معركة أحد درسا عمليا فى وجوب طاعة أوامر الرسول عندما يصدر الرسول ﷺ أمرا .

ويلاحظ أن النصر والهزيمة فى هاتين المعركتين لم يكن أى منهما حاسم النتائج بالنسبة لكيان كل من القوتين المتحاربتين، اللهم إلا فيما يتعلق بالنواحى المعنوية الناجمة عن مدى الخسائر فى الأرواح وتأثير النصر والهزيمة فى حرب الدعاية لصحة العقيدة بالنسبة لكل من الطرفين .

وهكذا كان الشأن أيضا فيما يتعلق بغزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة، وكانت عناية الله فى نجاة المسلمين فى هذه المعركة واضحة .

ومن الممكن ملاحظة الطابع الهجومى للمشركين الوثنيين فى المعركة الأولى والثانية بوجه خاص التى كانت تشكل خطرا كبيرا على الإسلام والمسلمين بالنظر

---

(١) الأنفال ـ (الآية ٣٩). *وليس معنى أن يكون الدين كله لله هو إجبار « كل » الناس على أن يكونوا مسلمين . هناك فرق بين « كل الناس » و« كل الدين » . كل الدين تعنى حرية الاعتقاد الدينى بمعنى ألا يتدخل أحد الناس أو مجموعة من الناس أو سلطة من سلطات المجتمع لمنع الناس من اعتناق دين الإسلام . انظر كتابنا صدق الله العظيم لمزيد من التفاصيل .

إلى كثرة عدد جند المشركين إذ وصل عددهم إلى عشرة آلاف مقاتل ، وهو عدد كبير جدا بالمقارنة لعدد المسلمين داخل المدينة .

ومن الممكن أن نلاحظ أيضا نشاط « اليهود » فى الصفوف الخلفية لجيوش المشركين فى المعركة الأولى والثانية بوجه عام وفى معركة الخندق بوجه خاص على الرغم من وقوف اليهود مع المسلمين بذات الخندق إلا أن تخاذلهم وانسحابهم من الدور الدفاعى الذى كان منوطا بهم يكشف عن رغبتهم القوية فى هزيمة المسلمين أمام أعدائهم من المشركين ،كما أن نشاطهم التآمرى وراء كواليس الحرب وتشجيعهم للقبائل العربية الوثنية المتفرقة لكى ينضموا إلى الأحزاب التى تحركت للهجوم على المسلمين بالمدينة قد انكشف بعد المعركة معلنا عن رغبة اليهود فى القضاء على المسلمين ولكن على طريقة اليهود فى استغلال غيرهم من الجنود لتحقيق رغبات اليهود . وكانت عناية الله فى عون المسلمين فى معركة الخندق ومعركة الأحزاب فى العام الخامس للهجرة .

ولسنا نهدف هاهنا إلى التأريخ لغزوات الرسول أو لما خاضه المسلمون من حروب فى فجر الإسلام ولكن هدفنا المتواضع هو أن نقدم الدليل مجرد دليل على أن الإسلام هو الدين الوحيد من أديان التوحيد الذى قضى على الوثنية وعبادة الأصنام قضاء مبرما فى العالم المعمور على المستوى الفكرى الأيديولوجى وعلى المستوى الحربى والعسكرى.

ولقد كان القرآن الكريم هو سند المسلمين فى صراعهم الفكرى ، وكانت سيوف المسلمين هى التى دحرت محاولات الوثنيين فى القضاء على أكمل وأصح دين من أديان التوحيد : الإسلام .

وماذا فعل اليهود ؟ وماذا فعل النصارى للقضاء على عبادة الأصنام ؟ لا شئ ! بل ساعدوا الوثنيين وتمنوا لو انتصر عباد الأصنام على الإسلام !

وعندما دخل رسول الإسلام عليه السلام مكة فاتحا منتصرا ، ولم يملك الوثنيون

بها له دفعا ، إذ كان ﷺ قد جاءهم فى العام الثامن للهجرة على رأس عشرة آلاف من المسلمين المستعدين للجهاد فى سبيل الله ، حقن نبى الإسلام عليه السلام الدماء ، وقال لأهل مكة ضمن حوار فكرى مشهود ومشهور : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » . وحطم عليه السلام الأصنام تحطيم عزيز مقتدر منتصر وهو يقول: «قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»

....

وتطايرت أنباء فتح مكة و « تحطيم الأصنام والأوثان » إلى كل مكان ، وكفل تحطيم القرآن لعبادة الأوثان فى الأذهان نهاية الوثنية وعبادة الأصنام فى كل مكان مأهول معمور متصل بحضارة الإنسان.

أهل الكتاب : اليهود والنصارى

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [1] إلى قوله تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ [2]

....

لا نبغى تجريحا ولا تأريخا هدفنا فى هذه الدراسة المتواضعة متواضع ونبيل ما استطعنا إلى التواضع والنبل سبيلا .

التجريح لا نقصده أبدا ، والتأريخ لا تقوى على تفاصيله هذه الدراسة المتواضعة ، وللتاريخ بطبيعة الحال مصادره وكتبه ومراجعه المعروفة كما ونوعا وحجما لدى المهتمين بتفاصيل التاريخ .

هدفنا المتواضع هو لمحات من هنا وهناك صحيحة ودقيقة وثابتة الأسانيد تلقى الضوء على موضوع كتابنا عن مناظرة النبى عليه السلام مع وفد نصارى نجران .

ولقد ألمحنا من قبل إلى إن النبى عليه السلام لم يكن مجرد عربى أمى عاش فى قلب صحراء شبه الجزيرة العربية ، بل كان عليه السلام نبيا رسولا هو خاتم أنبياء الله ورسله، وكونه عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام جعل لنبوتة ورسالته طابعا فريدا متميزا وممتازا بين الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى واصطفاهم من بين البشر لهداية البشر، كما أن معجزته عليه السلام لم تكن

---

(١) سورة المائدة ـ (الآية ـ ١٢).　　(٢)سورة المائدة ـ (الآية ١٧).

كمعجزات البشر، كما أن معجزته عليه السلام لم تكن كمعجزات الأنبياء والرسل السابقين تبهر الناس وتدهشهم ويتأثر بها من شهدها فحسب، بل كانت معجزته عليه السلام من نوع متمايز فريد .

كانت معجزته عليه السلام هى القرآن ليهدى الناس ويقنعهم، وليظل القرآن خالدا مخلدا لمعجزات الرسل والأنبياء السابقين .

وكانت رسالة كل رسول من رسل الله السابقين موجهة إلى قوم بعينهم ، ولا عبرة بما يدعيه أتباع أى دين مغاير للإسلام عن عالمية الدعوة فيه إلى كل البشر .

وكتبهم الموجودة بأيديهم بحالتها الراهنة تثبت خصوصية دينهم بقوم من الأقوام ولا تنادى بعمومية أى دين مغاير لدين الإسلام. ويعترف اليهود بهذه الحقيقة دون كثير جدال . اليهودية فى نظر اليهود وغير اليهود هى ديانة بنى إسرائيل شعب الله المختار .

وإذا كان من المعروف أن المسيح عليه السلام ما جاء ليهدم الناموس، بل جاء ليتممه، وإذا كان الإتمام بالنسبة للشريعة هو تحرى سلامة وصحة التطبيق ، لأدى ذلك وأفضى بالضرورة إلى وجوب التزام المسيح عليه السلام بشريعة سيدنا موسى وروحها وجوهر اتجاهها إلى بنى إسرائيل أيضا تصويبا وتصحيحا وحسن تفسير لما كانوا قد أفسدوه من تعاليم موسى وما كانوا قد حرفوه أو أساءوا تأويله من نصوص التوراة.

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ (١)

ويتجه الخطاب الإلهى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين يكلفه الله سبحانه وتعالى بدعوة الناس «كافة» إلى الإسلام بقوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾**(٢)

---

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) سورة سبأ : ٢٨ .

هذا ، بينما ينسب الإنجيل إلى السيد المسيح عليه السلام قوله: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».. [متى: ١٥٠ : ١٤٠]

وتؤكد دائرة المعارف البريطانية أن الحواريين تلاميذ المسيح عليه السلام وأتباعه الأوائل ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية دينا لليهود (١) بأن يجعلوا اليهود يتبعون تعاليم المسيح عليه السلام .

ونود أيضا أن نوضح ها هنا أن الكتب المقدسة إنما هى حق أشاع الله الاطلاع عليه لكل البشر بما فى ذلك القرآن الكريم .

توجد موضوعات مشتركة بطبيعة الحال بين أديان كثيرة أولها وجود الله سبحانه وتعالى وكيفية الإيمان الذى يحدده دين من الأديان لله، وكذلك رسل الله وكتبه التى أنزلها على أنبيائه ورسله والمسيح عيس ابن مريم عليه السلام رسول اختلفت بشأنه أديان التوحيد الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام كما تحظى مسألة ختم الرسالات الإلهية لدى هذه الأديان بكثير من الاهتمام .

ولقد كانت الخلفية الثقافية عموما والدينية خصوصا لأعضاء وفد نصارى نجران تستند إلى ذلك التراث الدينى الكهنوتى الممتزج بتراث جدلى فلسفى واسع الاطلاع على فلسفة اليونان شديد الامتزاج لها . وعندما ظهرت المسيحية ، كانت فلسفة اليونان قد بلغت مرحلة ما بعد أفلاطون وأرسطو وتفاعلت الأفكار الفلسفية مع المعتقدات الدينية اليهودية والمسيحية تفاعلا يستحيل أن يعمل فى مجال الكهنوت المسيحى عامل ما لم يكن ملما به مطلعا عليه إلماما واطلاعا يتيح له الترقى فى سلم وظائف الكهنوت المسيحى. كانت تلك الخلفية موجودة لدى وفد نصارى نجران الذى أرسله إمبراطور الرومان لمناظرة نبى الإسلام عليه السلام فى العام العاشر للهجرة كما أن محمدا عليه السلام لم يكن مجرد عربى أمى لا يعرف القراءة والكتابة بل كانت وراء محمد عقيدة وشريعة وقرآن وسنة وكانت وراء محمد ﷺ أمة عربية جعلها محمد ﷺ بعد التخلف والشتات خير أمة.

يهمنا فحسب أن نلقى بعض الضوء الضرورى على خلفية طرفى مناظرة رسول

(١)انظر دائرة المعارف البريطانية – المجلد الخامس ـ ص ٦٣٢ .

الإسلام عليه السلام مع وفد نصارى نجران. ونرجو أن يتضح أننا نلتزم الموضوعية التامة قدر المستطاع فلا ندعى ادعاء واحدا بخصوص الإسلام إلا استنادا إلى نص واضح الدلالة من نصوص القرآن الكريم أو بالإحالة إلى المراجع الموثوق بها مع تحديد قاطع لأى نص من النصوص التى نستشهد بها .

وكذلك الحال بشأن النصوص التى اقتبسناها من التوراة والانجيل فيما يتعلق باليهودية أو المسيحية ومهما كانت هذه الطريقة مضنية للباحث فقد ألزمنا أنفسنا بها حفاظا على الموضوعية ونزولا على مقتضيات الأمانة العلمية لنجعل النصوص المعتبرة تتكلم .

ولقد سبق أن أشرنا إلى مسألة ختم الرسالات الإلهية والنبوات بالرسالة المحمدية ونكتفى هاهنا فحسب أن ننبه إلى ما ينبغى لهذه المسألة من أهمية يأبه لها المسلمون، ويهتم بها، ويجفل منها اليهود والمسيحيون. ولقد سبق أن أوضحنا أن الأمر الإلهى الصريح الموجه من الله إلى رسول الإسلام عليه السلام هو قول الله فى القرآن الكريم: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.[1] وبالقرآن الكريم نصوص أخرى تفيد عموم وعالمية الدعوة الإسلامية بينما نجد نصوص الإنجيل تصرح بأقوال تنسبها إلى المسيح عليه السلام شخصيا إذ يقول : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » [إنجيل متى ١٥ : ٢٤].

ويترتب على عالمية وعموم الدعوة الإسلامية وخصوصية الأديان السابقة على الإسلام نتائج خطيرة هى انهيار جميع مناصب ووظائف ورتب ونفوذ وسلطان رجال الكهنوت ورجال الدين اليهودى والمسيحى على حد سواء خصوصا لو أضفنا إلى ذلك أن الإسلام ينسخ الأديان السابقة بالمعنى الفقهى للنسخ لا محالة .

---

(١) سورة سبأ ٢٨ .

ولقد سبق أن قاوم رجال الكهنوت اليهودى أمثال « قيافا » المسيح عليه السلام وأتباعه إلى حد « محاولة » صلب المسيح بالتآمر مع الحاكم الرومانى على أيدى جنود الرومان بعد استصدار حكم من الحاكم الرومانى بيلاطس يقضى بصلب المسيح عليه السلام ، وشرعوا فى تنفيذ الحكم وهم يعلمون أنه المسيح وأنه نبى، ولكن تعاليم المسيح الحقيقية رغم اتساقها وعدم تعارضها مع التوراة كانت تتعارض مع مصالح طبقة الأحبار اليهود ومع منافع أتباعهم وموظفيهم .

ولقد تضافرت جهود الرابيين والأحبار اليهود مع جهود الكرادلة والقساوسة المسيحيين لمقاومة خاتم الرسالات السماوية من أجل تلك المنافع الدنيوية .

ومادام القرآن الكريم هو معجزة محمد ﷺ فلينكروا إمكانية الوحى الإلهى مهما تناقض موقفهم هذا مع ما ينادون به من قداسة لكتبهم الدينية. لقد تعودوا على التعامل مع المتناقضات، وليس لدى عامة الناس فى الغالب الأعم صبر ولا جلد عليها، بل إن حل التناقض وظيفة تشغل الوقت، وعمل لمن لا عمل له. وليس من الضرورى أن تنجح محاولة حل التناقض. ليس هناك أسهل من أن يقول قائلهم للمعترض ـ هم يسمون كل من يلاحظ أى تناقض عندهم بالمعترض ـ : «التناقض فى رأسك أنت وليس فى الدين، ليس فى ديننا تناقضا. لقد شرحت لك وأوضحت كل شئ وأنت لا تريد أن تفهم. ماذا أفعل لك؟ إن التناقض فى رأسك أنت!» وعنوان أحدث كتاب صدر عن أحدث الكنائس يتضمن وصف أى تناقض بالكتاب المقدس بأنه شبهة موهومة إذ أن عنوان الكتاب هو: «شبهات وهمية حول الكتاب المقدس» وهو صادر عن كنيسة قصر الدوبارة من إعداد الدكتور القس منيس عبد النور ، وهو كتاب يقع فى ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير . وسيادته يدمغ الشبهات بأنها وهمية مقدما فى عنوان كتابه ليوهم الناس بأنه لا أخطاء فى الكتاب المقدس بعهديه القديم أو التوراة والجديد الذى يتضمن ما يسمونه الأناجيل . وبفحص الكتاب اتضح فشل سيادته فى إزالة التناقض أو الشبهة التى صاغها بنفسه. من حق سيادته أن يحاول إزالة التناقض، وللناس وليس لسيادته الحكم بما إذا كان سيادته قد

نجح أم فشل فى إزالة التناقض ومادام سيادته قد طرح كتابه للقراءة والاطلاع فقد أصبحت مناقشة محتواه حقا لأى ناقد بأصول النقد العلمى المتعارف عليها. ومع أن سيادته يشتم الناقد مقدما قبل النقد فى مقدمة كتابه إذ يوصى القارئ بعد شئ من اللف والدوران أن يطبق وصاياه «ويطبق عليه كل عبارة فيرى فى الحال أن ما يقال له تناقض لم يكن له وجود إلا فى مخيلة [1] الناقد » وبالرغم من ذلك سنعرض بضع نماذج من التناقضات الموجودة بالكتاب المقدس وهى موجودة باعتراف سيادته فى ذات كتابه وهى موجودة فى مئات المراجع بكل لغات العالم، و سنرى إن كان سيادته قد نجح أم فشل فى إزالة التناقض .

لقد جرنا إلى هذا الاستطراد ما أشرنا إليه من أن اليهود والنصارى ينكرون القرآن الكريم كله جملة وتفصيلا ، وينكرون إمكانية الوحى الإلهى سبيلا إلى إنكار نبوة ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهم لا يبالون بما فى موقفهم هذا من تناقض داخلى ، إذ ينكرون إمكانية الوحى الإلهى ويثار فى وجوههم سؤال : إذا كنتم لا تنكرون الوحى الإلهى فلماذا تنكرون أن يصطفى الله ويختار محمداً بن عبد الله لينزل إليه القرآن الكريم وحيا إلهيا صادقا ؟ لمن القدرة على اختيار النبى المصطفى : لله أم لكم ؟ إنهم ـ اليهود والنصارى ـ لا يبالون بأى تناقض إذ ينكرون الوحى الإلهى من أجل أن ينكروا القرآن. وليس فى قولنا هذا أى تجن عليهم . إن لم يكونوا ينكرون القرآن الكريم فليعلنوا تصديقهم له واعترافهم بصحة نزوله على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

ولن نقف طويلا عند تفاصيل أحداث مقاومة اليهود لانتشار دعوة الإسلام. سنتكفى بالأسس الفكرية لهذه المقاومة ولكى يكون بيان هذه الأسس الفكرية سهل التناول ، ويطيب لى أيها القارئ الكريم أن أعرض بين يديك محتوى حوار دار بينى وبين أحد الأصدقاء حول الأسس الفكرية للمواجهة بين اليهودية والمسيحية وبين الإسلام . وفيما يلى تفاصيل الحوار .

---

(١) انظر الدكتور القس / منيس عبد النور: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس. صـــ١٢ .

البشارة بسيدنا محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل

قال صاحبى : حقا . لماذا رفض بعض اليهود والنصارى التصديق بالقرآن الكريم ولم يدخلوا فى الإسلام؟ هل صحيح أن اليهود والنصارى يجدون ذكرا لسيدنا محمد ﷺ باعتبار أنه خاتم المرسلين فى التوراة والإنجيل ؟

قلت : نبدأ بالشق الثانى من سؤالك :

عندما استغفر سيدنا موسى عليه السلام ربه لعناد بنى إسرائيل وشدة لجاجهم، ورد فى استغفار سيدنا موسى وطلبه الرحمة من الله سبحانه وتعالى : ﴿ **واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك** [1] **قال عذابى** [2] **أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾

[سورة الأعراف : ١٥٦ـ١٥٧]

وإذ يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن اليهود يجدون النبى الأمى مكتوبا عندهم فى التوراة وأن النصارى يجدونه مكتوبا عندهم فى الإنجيل فمن واجبنا نحن المسلمين أن نفحص التوراة والإنجيل لاستجلاء وجه الحق فى هذا الشأن ولا يحول إيمان المسلم بمصداقية القرآن كله دون إجراء هذا الفحص ليطمئن قلبه عندما يتوافق العقل مع النقل .والمسلم مطالب أن يعمل عقله وأن يتفكر ويتدبر ولا يحول دون إجراء هذا الفحص حقيقة أن اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا فى كلام الله كما يؤكد لنا

---

(١) كان ذلك فى مقام طلب الرحمة من الله سبحانه وتعالى . وهدنا معناها : رجعنا

(٢) قال الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام .

القرآن الكريم ذلك فى مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم** [1] **وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين * ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** ﴾ [سورة المائدة : ١٣ـ١٤]

لا يمنع تحريفهم الكلم عن مواضعه ياصاحبى أن نفحص مالديهم من كتب بحالتها الراهنة عندهم كما أن تغيير مجرم لمفردات مسرح جريمته لا يمنع سلطات التحقيق من دراسة وفحص مسرح الجريمة. المجرم لايستطيع فى الغالب الأعم أن يخفى كل أدلة جريمته ، وبالغا ما بلغت مهارته تظل بعض الأدلة موجودة يستطيع المحقق المدقق أن يجدها. ومع تسليم الإنسان المسلم أن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا فى كلام الله وأن أولى المواضع بالتغيير والتبديل وفقا لمصالحهم الدنيوية هى تلك المواضع التى تتعلق بصدق رسالة خاتم الإنبياء والمرسلين ، النبى العربى ﷺ ، إلا أن هذه الحقيقة لا ينبغى أن تحول دون فحص كتب أهل الكتاب بحالتها الراهنة لعل وعسى أن يكون أولئك الذين غيروا وبدلوا فى كلام الله قد فاتهم شئ لم يبدلوه ويغيروه غفلة منهم أو إساءة فهم له أو خطأ تأويل لدلالته ، يظنون أنه لا يدل ويستطيع المحقق المدقق فيه أن يستدل .

وقبل أن نبحث عن وجود البشارة بمجئ سيدنا محمد ﷺ خاتما للأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالتوراة والإنجيل ، تعال ياصاحبى نتدبر السبب فى محاولة أهل الكتاب إزالة ما يدل بنظرهم على وجود هذه البشارة بالتوراة والإنجيل .

قال صاحبى : حقا ما السبب فى ذلك؟ وما هو دافعهم إلى هذا الجرم الكبير ؟ وما هو دليلك على وجود هذا الدافع لديهم؟ أنت تعرف أن وجود الدافع إلى جرم معين ينبغى أن يكون قائما على أساس واضح لا يمكن إنكاره ولا يكفى الزعم

---

(١) الآية الكريمة قبلها تتحدث عن بنى إسرائيل : ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل ....

بوجود دافع على جريمة دون دليل يؤكد وجود الدافع ذاته. ويأتى البحث عن أدلة ارتكاب المجرم لجريمته فى مرتبة تالية. وجود دافع لدى المجرم لكى يرتكب جريمة ما يحتاج دليلا أو أدلة. وقيام المجرم فعلا بارتكاب جريمة يحتاج دليلا أو أدلة .

قلت : الدافع موجود وواضح وثابت بالدليل القاطع ياصاحبى. الدافع هو التمييز العنصرى لدى بنى اسرائيل ياصاحبى. إن بنى إسرائيل يعتقدون أنهم هم شعب الله المختار ، وأنهم هم أفضل البشر ، ولقد وصل بهم الغرور والصلف إلى حد قولهم إن الله لم يختر بنى إسرائيل ولكن بنى إسرائيل هم الذين اختاروا الله . إن هذه العبارة الدالة على أبشع صور الغرور الإسرائيلى موجودة بكتاب « جولدا مائير » [1] الذى يضم مذكراتها أو ذكرياتها على حد تسميتها لهذه المذكرات أو الذكريات. هذا التمييز العنصرى الذى زينه الشيطان لبنى إسرائيل جعلهم يصرون إصرارا عجيبا على أن أى نبى أو رسول من أنبياء الله ينبغى بل يلزم أن يكون من بنى إسرائيل دون سواهم . بنو إسرائيل فيما يعتقدون هم الذين يعطون للناس،كل الناس، دينهم وتعاليم عبادتهم لله ، متخذين لأنفسهم موقعا قياديا حاكما. من هذا المنطلق الدينى رفضوا دعوة المسيح عليه السلام لأنه لم يقل لهم إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولو قالها لهم لاتبعوه إذ كان سيصل بهم إلى حكم العالم فيما يطمعون، ولكن المسيح عليه السلام لم يقلها لهم لأنه لم يكن ليكذب على الله سبحانه وتعالى. وقبل المسيح عليه السلام كانوا يرجون أن يكون يوحنا المعمدان، وهو سيدنا يحيى عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين . ولكن سيدنا يحيى عليه السلام لم يقلها لهم لأنه عليه السلام لم يكن ليكذب على الله سبحانه وتعالى . ولقد كان اليهود الذين فروا إلى شبه الجزيرة العربية من جراء اضطهاد الرومان لهم بعد تحول إمبراطور الرومان إلى المسيحية كانوا ينتظرون ظهور خاتم الأنبياء والمرسلين. ومن الخطأ الظن بأنهم كانوا ينتظرونه نبيا رسولا عربيا . لقد كان الأمل فى حقيقة الأمر يحدوهم أن يظهر

---

(١) كانت جولدا مائير قبل وفاتها رئيسة وزراء إسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقد توفيت متأثرة بمرض سرطان الدم . والتعبير المنسوب إليها ورد فى مذكراتها التى نشرت فى كتاب بعنوان « حياتى My life ».

من بين بنى إسرائيل الموجودين فى شبه الجزيرة العربية ذلك النبى الذى يكون خاتم الأنبياء والمرسلين فيمكن لهم من خلال رسالته أن يسودوا العالم كله وأن يكونوا ملوكه وحكامه، وهو حلم بنى إسرائيل الأكبر. لقد أوجدتهم المقادير حول جبل «فاران» الموجود بشبه الجزيرة العربية وهم يعلمون أن ظهور النبى الذى يجعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين سيكون بهذا المكان. وازداد أملهم. ومن المعروف أن اليهود بيثرب كانوا يقولون للعرب سيظهر نبى هو خاتم الأنبياء والمرسلين وسنتبعه نحن اليهود وسنقطعكم به تقطيع عاد وثمود، وخاب أملهم عندما جاء خاتم الأنبياء والمرسلين نبيا رسولا عربيا من بنى إسماعيل وليس من بنى إسرائيل فكفر أكثرهم به.

والدليل على وجود التمييز العنصرى لدى بنى إسرائيل موجود فيما كتبوه بأيديهم دون ريب فى التوراة ، إذ لا يعقل إطلاقا أن يكرس الله سبحانه وتعالى مبادئ التمييز العنصرى فى كتاب من الكتب المقدسة التى أنزلها الله بحق إلى رسول من رسله الكرام ويقول الله سبحانه وتعالى بأن ما كتبه بنو إسرائيل بأيديهم وزعموه من عند الله ، يقول الله سبحانه وتعالى بهذا الشأن : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ [سورة البقرة : ٧٩]

قال صاحبى : صدق الله العظيم . ولكن بنى إسرائيل سينكرون بطبيعة الحال أن يكونوا قد كتبوا فى التوراة شيئا. كيف لنا أن نثبت أنهم قد أضافوا كلاما من عندهم إلى كلام الله بالتوراة أو حذفوا شيئا من كلام الله ؟

قلت : من الممكن العثور على ما أضافوه ومن الممكن إثبات أن ما أضافوه إنما هو كلام بشر موغل فى الخطأ ويستحيل أن يكون كلام الله سبحانه وتعالى الذى يلزم تنزيهه عن الخطأ والنسيان. إن بنى إسرائيل لم يكونوا يعتقدون أن سيفضحهم القرآن الكريم. تعال معى ياصاحبى لنتأمل قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم : ﴿ **يأيها الناس إناخلقناكم من ذكر وأنثى رجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن**

أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [سورة الحجرات : ١٣]

ألا يدل محكم قول الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم على المساواةبين البشر إذ يرجع الله سبحانه وتعالى أصل البشر إلى ذكر وأنثى مما يجعل البشر جميعا إخوة مهما تعددت شعوبهم وقبائلهم وحرى بالبشر جميعا أن يتعارفوا وأن يحرصوا على تقوى الله فيما بينهم ؟ هكذا ينبغى فى نظر أى إنسان عاقل سوى التفكير أن يكون كلام الله سبحانه وتعالى . فما بالنا ياصاحبى نجد بالتوراة بحالتها الراهنة بأيدى اليهود والنصارى كلاما ينسبونه إلى الله سبحانه وتعالى بحكم إثباتهم له وكتابتهم له بأيديهم فى التوراة ليقولوا : « فوجدها [١] ملاك الرب على عين ماء فى البرية .. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه سيكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن.» [سفر التكوين ١٦ : ٧ـ ١٢]

ولقد حاولت الترجمة العربية للتوراة أن تلطف بالعرب الذين يقرأون هذا النص المزعوم باعتبار أنه كلام الله بالتوراة إذ قال مترجم هذا النص: «وأنه سيكون إنسانا وحشيا» على حين نجد أن الترجمة الإنجليزية تقول: «وأنه سيكون حمارا وحشيا wild donkey إسماعيل عليه السلام الذى قال لأبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام يأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين تصوره الترجمة العربية كإنسان وحشى وتصوره الترجمة الإنجليزية حمارا وحشيا! وجزى الله مترجم التوراة إلى العربية خيرا لمحاولته الواضحة الترفق بمشاعر العرب الذين يعتبرون سيدنا إسماعيل جدهم الأعلى إذ غير وبدل كلام الله المزعوم إنه من التوراه ليجعل سيدنا إسماعيل «إنسانا وحشيا» وليس « حمارا وحشيا » كما تنص على ذلك الترجمة الإنجليزية للتوراة! ولقد تلطف مترجم التوراة إلى العربية أكثر وأكثر إذ قال : « يده على كل واحد ويد كل واحد عليه فى مقابل التعبير الموجود بالترجمة الإنجليزية الذى يقول : " He will be against him " أى: «وسيكون الله ضده» ولماذا يكون الله ضد سيدنا إسماعيل على حد تعبير مترجم التوراة إلى الإنجليزية ؟ ولماذا تكون يد سيدنا

---

(١) فوجدها: أى أنه وجد هاجر، أم سيدنا إسماعيل عليه السلام.

إسماعيل على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وعلى حد تعبير مترجم التوراة إلى اللغة العربية؟ أى ذنب جناه سيدنا إسماعيل بنظر بنى إسرائيل حتى يكون شأنه هكذا بالتوراة؟ هل يكون الله ضدسيدنا إسماعيل ويد سيدنا إسماعيل على كل واحد ، ويد كل واحد على سيدنا إسماعيل لأن سيدنا إسماعيل هو ابن سيدنا إبراهيم من هاجر وليس من سارة ؟ ولو كان ذلك كذلك ، فما هو ذنب سيدنا إسماعيل فى ذلك ؟ أليست هذه هى بذور وجذور التمييز العنصرى والتميز الدينى بأبشع صورهما ياصاحبى؟ أليس هذا دليلا ماديا واضح الدلالة بل حاسم الدلالة على وجود الدافع لدى بنى إسرائيل على إنكارهم وكفر كثير منهم بالقرآن الكريم وبرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه من بنى إسماعيل وليس من بنى إسرائيل ؟

قال صاحبى: هذا دليل لاريب فيه على وجود الدافع لديهم على إنكار الوحى المحمدى والكفر برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو أيضا دليل على أنهم قد بدلوا وغيروا فى التوراة وأضافوا إليها كلاما من عند أنفسهم كتبوه بأيديهم . المساواة بين الناس الذين خلقهم الله من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا هو الاعتبار اللائق أن يصدر عن الله سبحانه وتعالى. أما هذا الكلام الذى يكرس التفرقة العنصرية والدينية فلا يعقل أحد أن يصدر عن الله سبحانه وتعالى . وإذا كانوا قد أضافوه فلا يستبعد أحد أن يكونوا قد حذفوا من كلام الله سبحانه وتعالى ما يدل على نبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ ولم يعلنوه للناس ولم يتبع أكثرهم النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل. وصدق الله العظيم ولقدفهمت من كلامك أنهم رغم محاولتهم حجب هذه الحقيقة الكبرى من حقائق دين الله الصحيح إلا أنه لا يزال فى كتبهم كلام يدل على البشارة بمجئ سيدنا محمد ﷺ خاتما للأنبياء والمرسلين عليهم السلام فما هو؟

قلت : نعم ياصاحبى . لا يزال بكتابهم الذى يزعمون أنه من عند الله بصورته الراهنة مايدل على البشارة بمجئ محمد ﷺ خاتما لأنبياء الله ورسله. إنه ﷺ لم يأت من بنى إسماعيل فحسب ، بل إنه ﷺ قد أغلق باب النبوات والرسالات السماوية بعده.

ولقد أزالوا قدر استطاعتهم ما يدل على هذه الحقيقة ، ولكن بقيت بالعهد القديم أوالتوراة إشارات متعددة تبشر بمجئ محمد ﷺ وتدل على أنه نبى الله ورسوله وسأكتفى بمثال واحد من التوراة ياصاحبى متجنبا الاستطراد وراء الإشارات الكثيرة التى تنبئ عن رسالة سيدنا محمد ﷺ بالتوراة. تتجلى البشارة بنبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ بالتوراه فيما يلى إذ يخاطب الله سيدنا موسى عليه السلام فى التوراة قائلا لسيدنا موسى عليه السلام ما يلى بالحرف الواحد: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

[سفر التثنية ١٨ : ١٨] .

لقد غفلت عيون بنى إسرائيل القدامى عن هذا النص الهام الوارد بسفر التثنية بالجملة الثامنة عشر من الاصحاح الثامن عشر ، فلم يحذفوها وربما بل الأرجح أنهم ـ أخطأوا فهمها . من الواضح أنهم ظنوا أن هذه الجملة التى أشرنا إليها وذكرنا نصها تبشرهم بأن الله يعد سيدنا موسى عليه السلام أنه سبحانه وتعالى سيقيم لبنى إسرائيل نبيا غيره يأتى بعده .والأرجح ياصاحبى أنهم استبشروا خيرا .ليس سيدنا موسى إذا هو النبى الأخير إليهم . سيقيم الله نبيا بعده . ولقد كانت علاقة بنى إسرائيل بسيدنا موسى علاقة يغلب عليها التوتر نتيجة طبيعتهم المتمردة. ولقد وصفهم الإنجيل بحق بأنهم غلاظ الرقاب. فرح بنو إسرائيل أن سيقيم الله نبيا بعد سيدنا موسى . وانفتحت شهية كل واحد من زعماء بنى إسرائيل أن يكون هو نفسه ذلك النبى أو أن يكون أحد أبنائه أوأحد أحفاده أو أحد أقاربه. إنهم لم يتعمقوا فهم النص .وعندما جاءهم نبى الله يحيى عليه السلام أرادوا أن يستوثقوا منه ما إذا كان هو النبى الذى يشير إليه ذلك النص وأنه سيكلمهم بكل ما يوصى الله به . ولكن سيدنا يحيى عليه السلام نفى ذلك فانصرفوا عنه وأهملوا شأنه ودبروا قتله. كان بنو إسرائيل قد سألوا سيدنا يحيى عليه السلام : هل أنت المسيح؟ قال: لا. سألوه: هل أنت النبى؟ قال: لا. قالوا له : لماذا تعمد والتعميد عندنا من أعمال الأنبياء . فقال لهم : أنا صوت صارخ فى البرية هيئوا طريق الرب وافعلوا سبله مستقيمة . وفى رواية

إنجيل متى تصوير لهذا الموقف يقول : « قال لهم يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى . فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار . أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرق بنار لا تطفأ» .

[إنجيل متى ٣ : ٧ ـ ١٢]

كان بنو إسرائيل يغترون كثيرا ببنوتهم لسيدنا إبراهيم. أى شعب من شعوب الأرض غير شعب إسرائيل ينحدر من صلب أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذى حطم الأصنام وعبد إلها واحدا وأقام الدين لله وحده حنيفا ولم يكن من المشركين ! وبلغ الغرور ببنى إسرائيل أن تصوروا أنهم هم وحدهم أبناء سيدنا إبراهيم وليس أبناء سيدنا إسماعيل بنظرهم المريض ممن يحق لهم أن يعتبروا أنفسهم أبناء سيدنا إبراهيم وإذا كان الرب سيقيم نبيا بعد موسى فمن الضرورى حسب فهمهم السقيم أن سيكون ذلك النبى الذى وعدهم الرب بإقامته من بنى إسرائيل. ولم يدر بخلدهم آنذاك أن الله يمكن أن يقيم نبيا من أبناء إسماعيل ! هل يستطيع بنو إسرائيل أن يفرضوا على الله حظرا ألا يختار نبيا بعد موسى من أبناء إسماعيل وليس من أبناء إسرائيل ؟ شأنهم عجيب ياصاحبى. إنهم لا يزالون ينتظرون ذلك النبى الذى يقيمه الله بعد سيدنا موسى ويتمكنون بواسطته أن يحكموا العالم كله!

وعندما جاءهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام سألوه نفس السؤال هل أنت المسيح أو النبى الذى ننتظره بعد موسى عليه السلام ؟ ومعنى « المسيح الذى ينتظرونه» إنما هو معنى محدد فى مخيلتهم بطبيعة الحال : نبى، مسيح، مسيا، هو خاتم الأنبياء ، ويستطيعون من خلاله أن يحكموا العالم، لأن الشريعة الكاملة لم يأت بها موسى عليه السلام بدليل أن موسى قد قال لهم إن الله سيقيم نبيا .. فيكلمهم

بكل ما يوصيه به. وإذ كان المسيح عليه السلام يعرف ما يقصدونه بسؤالهم ذاك فأجابهم بالنفى. طبعا لم يكن المسيح عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين ولم يعجب رد المسيح بالنفى على سؤال بنى إسرائيل إنهم يريدونه خاتما للأنبياء والمرسلين، ولم يكن المسيح عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين .

عم غفل بنو إسرائيل فى النص المذكور ياصاحبى ؟ لقد غفل بنو إسرائيل عما نبههم إليه سيدنا يحيى عليه السلام أو يوحنا المعمدان John The Baptist لو صحت رواية متى فى ذلك النص الذى أشرنا إليه آنفا : [متى ٣ : ٧ـ ١٢]

ظنوا خطأ أنهم ـ بنى إسرائيل ـ وحدهم أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام. ألم يقل لهم سيدنا يحيى ـ حسب رواية متى ـ : « ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا» . ألم يقل لهم أيضا بذات السياق : «لأنى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم . » ؟

الإشارة إلى غلطتهم فى فهم النص الوارد فى [١٨ : ١٨ تث] . واضحة كل الوضوح ياصاحبى . ظنوا النبى الخاتم للأنبياء والرسل منهم لا محالة ولا يخطر ببالهم أن يأتى من بنى إسماعيل ! لو كان يوحنا المعمدان لقبلوا به لأنه من بنى إسرائيل، ولقد نفى يوحنا المعمدان نفسه أنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأخبرهم أن خاتم الأنبياء والمرسلين آت بعده وأنه ليس أهلا أن يحمل حذاءه وأعطاهم إشارات واضحة عن علامات تنطبق تمام الانطباق على نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام. وتأمل النصين جيدا. ليس فهم كلام الله حكرا على أحد ياصاحبى .

ولو كان عيسى ابن مريم عليه السلام قد قال لهم إنه خاتم الأنبياء والمرسلين الذى بشرهم بمجيئه سيدنا موسى لقبلوا به ولكن سيدنا عيسى عليه السلام نفى كونه خاتم الأنبياء والمرسلين وأعطاهم إشارات وعلامات تنطبق تمام الانطباق على سيدنا محمد ﷺ لا داعى لذكرها ها هنا تجنبا للاستطراد وكيلا تتزاحم النصوص .

ظن اليهود خطأ أن النبى الذى بشرهم به سيدنا موسى عليه السلام سيكون من بنى إسرائيل ولما تأكدوا أنه ليس هو يحيى عليه السلام أو يوحنا المعمدان، ولما تأكدوا

أنه ليس عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإنهم - فى غالبيتهم إلا من اهتدى وهم قليل ـ لا يزالون ينتظرون أن يأتى إليهم النبى الذى يضع الله كلامه فى فمه فيكلمهم بكل ما يوصيه الله به، أى يتم لهم شريعة الله، ويمكنهم ـ وهو الأهم بنظرهم ـ من أن يحكموا العالم، ولا يزال بنو إسرائيل إذ كذب معظمهم برسالة سيدنا محمد ينتظرون المسيح أو «المسيا» الذى بشرهم به سيدنا موسى فى سفر [التثنية ١٨ : ١٨ ..!]

وظن النصارى خطأ أيضا : أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين بل بالغوا واعتبره بولس، اعتبر سيدنا عيسى عليه السلام ابن الله ثم اعتبره الله واعتبر بولس نفسه رسول هذا الإله لأنه من غير المعقول أن يكون ثمة رسول لرسول. أراد بولس أن يكون نبيا رسولا ولم يختره الله للنبوة فجعل عيسى ابن مريم إلها وزعم أنه ـ عيسى ابن مريم باعتبار أنه قد أصبح بزعمه إلها ـ قد اختاره واصطفاه للنبوة وكلفه أن يكون رسولا للبشر. وإذا كان سيدنا إبراهيم قد شرع الختان فإنه كنبى رسول من قبل سيدنا عيسى الذى جعل اسمه هو يسوع إنه ـ بولس ـ بصفته نبى رسول قد أجاز عدم الختان. وإذا كان الرومان وهم أعظم قوة عسكرية فى العالم يريدون الإله إنسانا له صورة البشر مثل كل آلهة الرومان فالمسألة لدى بولس بسيطة. لقد حول لهم عيسى ابن مريم عليه السلام من نبى رسول من رسل الله إلى إله كلف «بولس» أن يكون نبيا رسولا ، وحول لهم معجزات سيدنا عيسى عليه السلام من دلائل صدق رسالة وحقيقة نبوة إلى أدلة ألوهية ! وإذا كانت الخمر محرمة فليجعلها بولس حلالا إذ يجعل أول معجزات المسيح عليه السلام هى تحويله الماء إلى خمر فى عرس كان مقاما بمكان اسمه «قانا الجليل» بفلسطين زعموا أن المسيح كان قدقال لإخوته إنه لن يذهب إليه ثم غير رأيه فجأة وذهب إليه وحول الماء فيه إلى خمر. أفلا تكون الخمر حلالا ؟! وإذا كان الرومان يحبون أكل لحم الخنزير ويقبلون عليه فليجعل بولس أكل لحم الخنزير حلالا إذ لا يهم فى زعمه ما يدخل بين الشفتين بل المهم هو مايخرج من بين الشفتين. وإذا كان الناس

يميلون إلى ممارسة الزنا ، فلينفرد أحد الأناجيل الأربعة بعرض شأن زانية متلبسة بالزنا بمكان اسمه « ذات المرة » ليجعل رد المسيح على هذا الاستفتاء المحرج هو قول المسيح : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر .

ولا ريب أن فى هذا الرد الذى زعم واحد من الأناجيل الأربعة أنه جواب السيد المسيح على ذلك السؤال يجعل الزنا بلا عقاب إذ انصرفت الزانية ، ولم يرجمها أحد بحجر . وإذا لم يكن بالأناجيل الثلاثة ما يفيد ألوهية المسيح، فليتضمن الإنجيل الرابع إنجيل يوحنا عبارات توشك أن تصرح وإن لم تستطع التصريح بألوهية المسيح . كل ذلك بتأثير بولس المباشر أو غير المباشر ولذلك استحق بولس الذى كان يهوديا اسمه شاول، استحق أن يعتبره الناس المؤسس الحقيقى للمسيحية. لقد حول بولس بشارة التوراة «بنبى يأتى بعد سيدنا موسى إلى الادعاء بمجئ «إله» بعد سيدنا موسى هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فيما يزعمون ، ولم يكن بالنصارى حاجة إلى مجئ « المسيا » بالمعنى اليهودى. لقد جاءهم المسيح عيسى ابن مريم فاعتبروه إلها وحاولوا تطبيق نبوءات التوراة والإنجيل عليه .

قال صاحبى إذا كان اليهود لا يزالون ينتظرون نبيا أو « مسيحا » أو « مسيا » بعد سيدنا موسى يحكمون العالم من خلاله ولذلك كذب معظمهم دعوة سيدنا محمد ﷺ لأنهم يريدون أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين من بنى إسرائيل وليس من بنى إسماعيل ، فلماذا تعتبر أنهم مخطئون فى فهم النبوة الواردة فى [١٨ : ١٨] من سفر التثنية ، ولماذا أخطأ النصارى أيضا فهمها ؟

قلت : تأمل ياصاحبى النص الذى ورد فى ١٨ : ١٨ من سفر التثنية جيدا إنه يقول « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك » . يخاطب الله سيدنا موسى حسب رواية التوراة بالموضع المشار إليه ويقول له : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك» تأمل النص لفظاً لفظا وجزءا جزءا.. «من وسط إخوتهم» . من هم إخوة بنى إسرائيل؟ من هو أخو إسرائيل ذاته ؟ إن أخا إسرائيل الذى كان يكبره بأربعة عشر عاما هو سيدنا إسماعيل عليه السلام ويترتب على ذلك نتيجة خطيرة هامة . إن تعبير

«من وسط إخوتهم » يعنى « من بنى إسماعيل » ولو كان الله يريد أن يبشر بنى إسرائيل على لسان سيدنا موسى عليه السلام بالتوراة أنه سيقيم نبيا من بنى إسرائيل لكان الله سبحانه وتعالى قدقال لسيدنا موسى عليه السلام : «أقيم لهم نبيا من وسطهم» أى من وسط بنى إسرائيل ولكن التوراة تقول إن الله قال لسيدنا موسى عليه السلام « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم» وليس من «وسطهم» وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل ترتيبا على أن إسماعيل هو أخو إسرائيل. وهكذا تكون البشارة متعلقة بنبى سيأتى بعد سيدنا موسى من أبناء سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليهما السلام.

وتأمل الملحوظة التالية ياصاحبى: النص العربى يقول « من بين إخوتهم والنصوص الإنجليزية القديمة تقول : From among their brothern

والنصوص الإنجليزية الحديثة تقول :

From among their own People

أى أن القائمين على شأن الترجمة الإنجليزية للتوراة الحديثة قد فطنوا إلى حقيقة معنى قول الله لسيدنا موسى: أقيم لهم نبيا من بين أخوتهم» وأن هذا التعبير يجعل هذه النبوءه التوراتية بشارة بقدوم نبى يأتى بعد سيدنا موسى هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما تشير إلى ذلك خاتمة ذات الجملةالمشار إليها من بنى إسماعيل وليس من بنى إسرائيل كما سبق أن أوضحناه ، ولذلك عمد القائمون على شأن الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس وهم فى العادة أساتذة كبار مخضرمون ، عمدوا إلى تغيير كلام الله المكتوب فى التوراة تحت ستار « تحديث لغة الإنجيل ، فجعلوا تعبير من بنى إخوتهم » الذى كان يقابله تعبير From among their brothern فى اللغة الإنجليزية القديمة ليصبح تحت شعار « تحديث إنجليزية الإنجيل» هو: From among their own people

وهو ما فعلته طبعة كولينز Fount / Collins

إشراف جمعيات الإنجيل The Bible Societies

وهى بعنوان Good News Bible

وتحتها عبارة : لغة إنجليزية حديثة Today's English Version

من الذى قال يا صاحبى إن تحديث عبارة من بين إخوتهم.

From among their brothern نفهم ونقبل أن يكون تحديث كلمة brothernهو brothers.هل تحديث brothenهو كلمة "own people " أم أنه هو"brothers " ؟ ليس هذا تحديثا للغة الإنجليزية بأى حال ولكنه تحريف وتبديل للكلام الذى يزعمون أنه كلام الله ولا يزال التحريف والتبديل مستمرا ...

وللتحقق من هذا التغيير والتبديل الذى لا يزالوان يمارسونه حتى اليوم ياصاحبى راجع الطبعة العربية للعهد القديم من الإنجيل . إنها لا تزال تقول «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم » فى النص [١٨ : ١٨ من سفر التثنية]. وراجع طبعة لم تستخدم اللغة الإنجليزية الحديثة لتجدها تقول ترجمة لذات النص المذكور :

I will raise them up a prophet from among their brothern ..

وراجع النص (١٨ : ١٨) من سفر التثنية، وهو موجود على صفحة ١٨٩ من طبعة كولينز لتجده هكذا

I will send them a prophet like you from among their own people .

إن تغيير عبارة raise them up بعبارة send them غير مهم ولا يحدث تغييرا فى المعنى إنه شبيه بالفرق بين سأبعث « و «سأرسل»

ولكن تغيير تعبير From among their brothers

إلى تعبير From among their own people

تغيير هام وخطير فى المعنى إذ أنه يجعل النبى الذى تبشر نبوءة التوراة بقدومه بعد سيدنا موسى عليه السلام من بنى إسرائيل بعد أن كان فى العبارة الأصلية قبل التغيير والتبديل من بنى إسماعيل. قال صاحبى : هذا واضح لكل ذى عيان. لقد

أخطأ بنو إسرائيل فيما يتعلق بفهم وتأويل النص الوارد فى الجملة الثامنة عشرة من الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية بالتوراة أو العهد القديم. هل أصاب النصارى أم أخطأوا فهم هذا النص؟ وماذا يثبت خطأهم لو كانوا قد أخطأوا فهم هذا النص وتأويله؟

قلت : إذ يفهم النصارى أن النص المشار إليه بشارة توراتية على لسان سيدنا موسى عليه السلام تبشر بمجئ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فإن خطأهم أظهر من خطأ بنى إسرائيل لأسباب قوية أهمها ما يلى :

أولا : يقول النص المشار إليه أول ما يقول : «أقيم لهم نبيا» وإذ يزعم النصارى أن هذا النص بشارة بمجئ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فإنهم يقعون فى تناقض داخلى غاية فى الوضوح . إنهم يزعمون ويثبتون أن عيسى ابن مريم عليه السلام إله ابن إله بزعمهم والنص المشار إليه يقول: «سأقيم لهم نبيا .. فليقولوا للعالم أولا قبل أن يعتبروا هذا النص بشارة بمجئ المسيح عليه السلام، فليقولوا للعالم أولا وقبل كل شئ ما إذا كانوا يعتبرون المسيح عليه السلام نبيا رسولا أم يعتبرونه إلها ابن إله؟ إنهم لا يستطيعون أن ينكروا أنهم يعتبرون المسيح إلها ابن إله وإلا انهارت المسيحية فوق عنادهم . من الواضح ياصاحبى أنه يستحيل عليهم أن يزعموا بحق، وإن كانوا بالفعل يزعمون بالباطل أن النص المشار إليه بشارة بمجئ المسيح عليه السلام يقولون: ألم تقل التوراة بسفر التثنية [١٨ : ١٨] أنه سيجئ ؟ لقد جاء المسيح. آمنوا. ولم يلحظوا أنهم يتعين عليهم أولا أن يؤمنوا هم أنفسهم أن المسيح نبى رسول من رسل الله عليهم السلام قبل أن نفحص منهم بقية القرائن الموجودة بالنص الذى يحاولون أن يعتبروه بشارة بالمسيح عليه السلام وتدل كل القرائن الموجودة بالنص على أنه ليس بشارة بالمسيح عليه السلام ولكنه فى حقيقة الأمر وبموجب أدلة صحيحة ، بشارة بمجئ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، رسول الإسلام الكريم العظيم الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

ثانيا : لقد سبق ياصاحبى أن شرحنا تعبير « من وسط إخوتهم » وأوضحنا أنه يدل دلالة قاطعة على أن النبى الذى يبشر بمجيئه النص المشار إليه إنما سيكون من بنى

إسماعيل وليس من بنى إسرائيل . ولو كانت البشارة تتعلق بنبى سيأتى من بنى إسرائيل لتعين أن يقول الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام : «أقيم لهم نبيا من وسطهم» وهو مالم يحدث بموجب التوراة الموجودة بأيديهم اليوم ، إذ أن نص البشارة الواردة به يقول : أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن البشارة بنبى سيأتى بعد سيدنا موسى عليه السلام لا تتعلق بسيدنا عيسى الذى كان يهوديا من بنى إسرائيل لم يأت ليهدم الناموس أى التوراة، وإنما جاء ليتممه وتتمة الناموس سلامة تطبيق شرائعه التى كان بنو إسرائيل قد أساءوا تطبيقها .

ثالثا : يقول النص المشار إليه: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم «مثلك» ... ولأسباب عديدة ، ليس سيدنا عيسى عليه السلام « مثل » سيدنا موسى عليه السلام، ولكن سيدنا محمد بن عبد الله ولأسباب عديدة ، يعتبر « مثل » سيدنا موسى عليه السلام،

أ - ولد سيدنا موسى عليه السلام لأب، وأم، وولد سيدنا محمد ﷺ لأب وأم وفى ذلك يتحقق التماثل بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ ولا يتحقق التماثل بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام إذ أن سيدنا عيسى عليه السلام ولد لأم من غير أب كمعجزة من المعجزات حققها الله بقدرته لتكون دليلا على صدق نبوته ورسالته .

ب - أوتى سيدنا موسى عليه السلام شريعة إلهية . وأوتى سيدنا محمد ﷺ شريعة إلهية . وفى ذلك يتحقق تماثل سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ حيث أن كلا منهما تلقى من ربه شريعة إلهية. كانت شريعةسيدنا موسى عليه السلام خاصة ببنى إسرائيل ، ولم يؤت سيدنا عيسى عليه السلام شريعة خاصة ، بل اعتمد شريعة سيدنا موسى ، وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقرأ التوراة ويفسرها لبنى إسرائيل تفسيرا صحيحا ، وأعلن عليه السلام صراحة أنه لم يأت لينقض الناموس ، بل جاء ليتممه.

جـ - ترتب على مجئ كل من سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد عليه

السلام بشريعة إلهية أن صار لكل منهما الحكم بسلطان الشريعة الإلهية بين أتباعهم كانت لكل منهما سلطة الملك الحاكم النافذ الحكم بين أفراد رعيته ، وكانت لكل منهما سلطة توقيع العقوبات على المخالف لأحكام الشريعة الإلهية لدى كل منهما ، وكان لدى أتباع كل منهما الإيمان الكافى لمناصرة كل منهما لفرض أحكام الشريعة على المخالفين طواعية أو رغم أنوف المخالفين لأحكام الشريعة. ويتماثل سيدنا محمد ﷺ مع سيدنا موسى عليه السلام أيضا على هذا الأساس ، وليس سيدنا عيسى عليه السلام مثل سيدنا موسى عليه السلام فيما يتعلق بهذا الاعتبار أيضا .

ولا لزوم ياصاحبى للاستطراد أكثر من ذلك فى بيان أوجه مماثلة سيدنا محمد ﷺ لسيدنا موسى عليه السلام وعدم مماثلة سيدنا عيسى عليه السلام لسيدنا موسى عليه السلام . وإذا يقول الله لسيدنا موسى : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك» يكون نبى الله المعنى بهذه البشارة هو نبى الإسلام محمد ﷺ وليس المقصود بها هو عيسى ابن مريم عليه السلام كما يدعى النصارى .

رابعا : وتقول البشارة التوراتية بمجئ نبى بعد سيدنا موسى عليه السلام ، تقول البشارة : «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه ..»

إن تعبير : « وأجعل كلامى فى فمه » تعبير واضح الدلالة فى الإشارة إلى سيدنا محمد النبى الأمى ﷺ . من المعروف أن سيدنا موسى عليه السلام قد استلم الألواح مكتوبة ، ونرجح أن سيدنا موسى عليه السلام كان يجيد القراءة والكتابة. ومن غير المتاح لنا أن نعرف كيف تلقى سيدنا عيسى عليه السلام الإنجيل لعدم وجود الإنجيل الأصلى الذى أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام ولانعدام ذكر كيفية نزول الوحى الإلهى على المسيح عليه السلام سواء بواسطة المسيح نفسه أو بواسطة أى من أتباعة وحوارييه. أما الوحى الإلهى المحمدى فقد حفظ الله كلامه فى القرآن الكريم ولا يزال بفضل الله موجودا رحمة ونورا وهدى للعالمين وقد وصف خاتم الأنبياء والمرسلين بنفسه كيفية نزول الوحى الإلهى إليه ولقد وصف أتباعه المقربون كيفية نزول الوحى الإلهى عليه ﷺ من حيث الأعراض الظاهرية المصاحبة لذلك، ولقد

سبق أن أوضحنا عدم حاجة خاتم الأنبياء والمرسلين لمعرفة الكتابة والقراءة كما تواضع عليهما البشر حروفا تتكون منها الكلمات المكتوبة لتكون من ثم مقروءة إن الله سبحانه وتعالى قد «وضع كلامه فى فمه» ﷺ دون حاجتة إلى معرفة بالقراءة والكتابة كما تواضع عليهما البشر. ووضع كلام الله سبحانه وتعالى فى فم النبى الذى بشرت به توراة موسى عليه السلام فى النص المشار إليه يشير إشارة مؤكدة الدلالة على أن النبى المقصود بها هو محمد ﷺ وينطبق تمام الانطباق على كيفية نزول الوحى المحمدى إلى محمد ﷺ .

خامسا : وتقول البشارة التوراتية بمجئ نبى بعد سيدنا موسى عليه السلام تقول: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به » [تث ١٨ : ١٨] يالله ! ألم يكن الله سبحانه وتعالى قد كلم الأنبياء عليهم السلام بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام بكل ما يريد سبحانه وتعالى أن يوصى به ؟

من الواضح ياصاحبى أن الله سبحانه وتعالى لم يكن قد كلم الأنبياء بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام بكل ما يريد أن يوصى به ولو كان الله سبحانه وتعالى قد كلمهم بكل ما يريد أن يوصى به لما كانت ثمة حاجة تبقى لدى الناس حتى يعدهم الله سبحانه وتعالى فى صميم نصوص التوراة بمجئ نبى بعد سيدنا موسى يضع سبحانه وتعالى كلامه فى فمه فيكلمهم ذلك النبى بكل ما يوصيه الله سبحانه وتعالى به. إن هذا النص التوراتى الواضح الدلالات يدل على أن شريعة سيدنا موسى عليه السلام لم تكن هى الشريعة الخاتمة ، ولم تكن للناس كافة بل كانت شريعة لبنى إسرائيل خاصة . ويتفق هذا الاعتبار تمام الاتفاق مع مبادئ العقيدة الإسلامية التى تعتبر أن رسالات الأنبياء المرسلين السابقين للإسلام كما أنزلها الله إليهم كانت رسالات إلهية صحيحة صادقة تدعو كلها إلى الإيمان بالله الواحد القهار وتنزه الله سبحانه وتعالى عن الشرك ومماثلة الأغيار داعية كلها إلى وجوب طاعة الله استعدادا للحساب يوم الحساب عندما يبعث الناس ليوم الحساب . وكان كل رسول من رسل

الله عليهم السلام يؤدى هذه الرسالة ذاتها بكل صدق وأمانه إلى قومه ولم تكن البشرية قد ارتقت مداركها بعد لتكون مهيأة لتلقى الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام دين الشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية التى شاءت إرادة الله العليم الحكيم أن تكون فى مجال الشريعة والعقيدة غاية الكمال والتمام.

نعم ياصاحبى . لم تكن وسائل الانتقال والاتصال بين البشر على سبيل المثال قد اكتملت إلى المدى الذى يمكنها من الوصول إلى كل البشر. إلى أى مدى كانت قدرة قوم سيدنا نوح أو قوم سيدنا صالح تستطيع التحرك والانطلاق؟ كان أهل ثمود وهم قوم سيدنا صالح عليه السلام على سبيل المثال يعيشون فى واد صخرى وتستطيع أن تتخيل ضآلة قدرتهم على الحركة والانتقال إلى أماكن أخرى من العالم. واللغة لغةالبشر ياصاحبى هى ترجمان الفكرة ووسيلة التفاهم والقنطرة اللازمة للانتقال من محاولة الإقناع إلى حصول الاقتناع. لقد كانت إمكانات تعلم البشر لغة أخرى غير لغتهم الأم إمكانات معدومة أو شبه معدومة. ولهذه الأسباب كان يتعين على البشرية ياصاحبى أن تنتظر حتى تتوافر إمكانات تحقق سهولة التفاهم بين البشر. وكانت رسالات السماء إلى المرسلين من الأنبياء قبل الإسلام لا تكلفهم المستحيل ولا تطلب من أى منهم أن يبلغ رسالة ربه إلى كل الأنام وهو ما شهدناه فى خصوصية رسالة كل رسول من رسل الله قبل الإسلام إلى قوم من الأقوام . وعندما جاء الإسلام وضع الله سبحانه كلامه وهو القرآن الكريم فى فم خاتم الأنبياء المرسلين محمد ﷺ ليكلم الناس كافة « بكل » ما يوصيه به ، ليكمل سبحانه وتعالى للناس دينهم ويتم عليهم نعمته إذ جعل لهم « الإسلام » دينا .

قال صاحبى : قام الدليل الواضح بما لا يدع مجالا لأى ريب ، على أنه يوجد بالعهد القديم أو التوراة نصوص تتنبأ بمجىء سيدنا محمد ﷺ ولا جدوى على وجه الإطلاق من إنكار أصحاب التوراة لهذه الحقيقة الثابتة إذ أن نصوص التوراة تدحض إنكارهم الحقيقة، وتثبت ـ رغم أنوفهم ـ صدق القرآن الكريم عندما يؤكد القرآن الكريم أن اليهود والنصارى يجدونه النبى الأمى ، محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل

مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾

[سورة الأعراف : ١٥٧]

وعندما يسأل اليهود بهذا الشأن يقولون : كلا لم يرد شئ يبشر بمجئ رسول الإسلام محمد ﷺ بالتوراة ها هى ذى التوراة ليس فيها شئ من ذلك! ولقد ثبت وجود نص قاطع الدلالة على أنهم يجدونه ﷺ مكتوبا عندهم فى التوراة فأثبت على كل من يقف موقفهم الكفر والغفلة فى آن واحد. ماذا عن بشارة الإنجيل بمجئ سيدنا محمد ﷺ ؟

قلت : النصارى ـ أولا وقبل كل شئ ـ يعتبرون التوراة كتابا مقدسا لديهم أخذوه بحالته الموجودة بأيدى اليهود، وأطلقوا عليه اسما آخر هو «العهد القديم». يتمسك اليهود بأن ما أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام اسمه التوراة ويطيب للنصارى أن يطلقوا عليه اسم « العهد القديم». وكأن المسألة مسألة تغيير الاسم، ولقد ظل النصارى سنوات عديدة يعتمدون على التوراة وحدها ككتاب مقدس، ويحكى « كتاب أعمال الرسل» وهو «أحد كتب الإنجيل أو العهد الجديد المعتمدة لدى النصارى» كيف هاج اليهود واعترضوا على « القديس بولس» عندما عاد إلى أورشليم واتهموه وهو اليهودى بنظرهم وباعترافه بين أيديهم بأنه يهودى فريسى من غلاة اليهود فى تطبيق شريعة موسى ، اتهموه بأنه يخرب الناموس وينقض الشريعة بدعوته الناس إلى عدم الختان والختان من دعائم الشريعة وأحد مقومات العهد الذى عاهد الله بنى إسرائيل عليه منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وطالب اليهود الحاكم الرومانى بتسليمه لهم ليفتكوا به فاحتكم القديس بولس إلى إمبراطور الرومان واضطر الحاكم الرومانى إلى إرساله إلى روما ليرى فيه إمبراطور الرومان الوثنى رأيه .

خلاصة القول هى أن «التوراة». مقدسة لدى النصارى ، بل إنها ـ التوراة ـ هى

الكتاب المقدس الأول لديهم ، أخذها النصارى بحالتها الموجودة بأيدى اليهود على علاتها . ولا ريب عندى أن اليهود يضحكون فى أكمامهم من استعارة النصارى لكتاب اليهود المقدس عندهم ليقدسوه هم أيضا ريثما يتوالى ظهور أناجيل العهد الجديد بعد عشرات السنين من انتهاء شأن المسيح عليه السلام مع قومه من بنى إسرائيل. ومن المعروف المتفق عليه أن الإنجيل الإفسسى ، إنجيل يوحنا ، الإنجيل الرابع الذى أنشأه ذلك اليونانى المدعو «يوحنا» باللغة اليونانية المشوبة بنكهة فلسفية وهى لغة لم تكن لغة «يوحنا بن زبدى» ، حوارى المسيح الأصلية لم يظهر هذا الإنجيل الإفسسى الرابع المعروف باسم «إنجيل يوحنا» إلا بعد مائة سنة من انتهاء شأن المسيح مع قومه باتفاق معظم الدارسين المحققين .

وخلاصة القول أيضا ياصاحبى هى أن النصارى الذين قبلوا التوراة باعتبار أنها كتاب مقدس لديهم هم أيضا منذ عهد المسيح عليه السلام إلى اليوم يلزمهم الالتزام بما تقضى به نصوص التوراة فيما يتعلق بالعقائد على الأقل لو افترضنا إمكانية نسخ شريعة لاحقة لشريعة سابقة وهو ما ينكره النصارى ولكن النصارى يلزمهم من ناحية العقيدة على الأقل الرضوخ لما ورد فى التوراة وإلا فما هو معنى قبولهم بها بحالتها الموجودة بين أيدى اليهود ؟ وما هو معنى تقديسهم لها والنص المشار إليه آنفا فى [١٨ : ١٨] من سفر التثنية بالتوراة يلزم النصارى الحجة على البشارةبمجىء محمد ﷺ نبيا يكمل للناس دينهم ويتم عليهم نعمة الله عليهم بأن يكون الإسلام للناس دينا كما ألزم النص ذاته اليهود بذلك .

ويضاف إلى ذلك ياصاحبى أنه قد وردت بالعهد الجديد ذاته نصوص تبشر بمجئ سيدنا محمد أيضا منها النصوص التالية .

تقول رسالة يوحنا الأولى « ... لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله »

[ايو ٤ : ٢ ـ ٣] .

ولو ضربنا صفحا عن أن يوحنا يطلق على المسيح اســـم « يســـوع » بدلا من «عيسى» حيث إن تغيير حروف أسماء الأعلام بين لغة وأخرى كان معروفا ومألوفا : « عيسى » بالعربية هو « يسوع » باليونانية أو عند تعريب اليونانية وهو «جيزوس» Je-sus بالإنجليزية والفرنسية ، لو ضربنا صفحا عن أن يوحنا يطلق على المسيح اسم «يسوع» بدلا من «عيسى» ، لوجدنا أن يوحنا فى هذا النص الذى اقتبسناه قد وضع معيارا لصدق النبوات الصادقة يميزها عن النبوات المدعاة الكاذبة والمعيار أو المقياس الذى وضعه يوحنا فى النص المشار إليه مؤداه هو أن كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله ولو اختبرنا الدعوة المحمدية بهذا المعيار يتضح لنا صدقها وصدق نبوة صاحبها تمام الوضوح. أفلا يقول نبى الإسلام مؤيدا بوحى ربه فى أكثر من موضع بالقرآن الكريم إن عيسى ابن مريم هو المسيح عليه السلام ؟ فى صميم نصوص القرآن الكريم فى أكثر من موضع نجد تأكيد هذه الحقيقة الهامة التى جعلها يوحنا دليلا على صدق النبوة. إن وصف عيسى ابن مريم بأنه المسيح قد تكرر ذكره فى القرآن الكريم منذ مولد عيسى عليه السلام بطريقة إعجازية حتى نهاية شأنه مع قومه من بنى إسرائيل . وتأكيدا لذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين* ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين** ﴾. [سورة آل عمران : ٤٥-٤٦]

وهكذا بدءا من بشارة الملائكة لمريم العذراء يؤكد القرآن الكريم أن عيسى ابن مريم هو المسيح، ينسب إليه معجزات كبرى تدل على صدق نبوته وصدق رسالته. معجزات حققها الله بقدرته سبحانه وتعالى له قبل [١] وعند مولده لم تتحقق لنبى قبله ووصفه القرآن الكريم بالوجاهة التى تتنافى مع نقائص البشر، وأنى لمن يوصم بنقيصة من نقائص البشرأن يكون وجيها فى الدنيا أوفى الآخرة ؟ ووصفه القرآن

---

(١) كان مولد سيدنا يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) بعد أن كان سيدنا زكريا عليه السلام قد بلغ من العمر عتيا وكان مولد مريم ابنة عمران إرهاصا بمعجزة مولد المسيح دون أى كائن فى ميلاد

الكريم بأنه من الصالحين. هكذا يصرح القرآن الكريم الذى أوحاه الله إلى خاتم الإنبياء والمرسلين بتحقق. معجزات كبرى للمسيح عيسى ابن مريم بينما تجعل الأناجيل أول معجزاته عليه السلام هى تحويله الخمر إلى ماء بعرس فى قانا الجليل . بل إن القرآن الكريم يتحدث عن عيسى ابن مريم عليه السلام لا باسمه ولكن بصفته باعتبار أنه « المسيح » فى كثير من المواضع مثل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾. [سورة المائدة : ٧٢]. وهكذا، ياصاحبى، بينما أنكر معظم بنى إسرائيل أن عيسى ابن مريم عليه السلام ليس هو المسيح، وأنكروا نبوته وألوهيته على حد سواء بل ورموه ورموا أمه مريم العذراء بكل النقائص وحاولوا قتله صلبا، بينما كان ذلك هو موقف معظم بنى إسرائيل من سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام نجد أن نبى الإسلام عليه السلام من خلال القرآن الكريم يصرح أنه المسيح عليه السلام ويصفه بخير أوصاف الاحترام والتكريم التى يمكن أن يوصف بها نبى صادق فى تبليغ رسالة رب العالمين العظيم إلى قومه الذين كلفه الله سبحانه وتعالى بتبليغ رسالته إليهم ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ،وكان وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين. وجدير بالذكر ياصاحبى أن محمدا بن عبد الله ، النبى الأمى ﷺ لم يكن قد شهد البشارة بمولد المسيح عليه السلام ،ولم يكن قدشهد بنفسه مولده ولا شهد معجزة مولده من غير أب مع قدرته على الكلام فى المهد ولا شهد النبى ﷺ ما إذا كان المسيح عيسى ابن مريم قد مسح كنبى من أنبياء بنى إسرائيل أم لم يمسح، ولكنه الوحى الإلهى الصادق، ولكنه القرآن الكريم، أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين فأنبأه الله سبحانه وتعالى بكل تلك الأنباء الصادقة ، والله خير الشاهدين .

وهكذا ياصاحبى لو طبقنا ذلك المعيار أو المقياس الذى وضعه يوحنا فى رسالته الأولى بالموضع المشار إليه لأثبت ذلك المقياس أو المعيار صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

ولقد ورد بإنجيل «يوحنا» ياصاحبى النص الآتى: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه يراه ولا يعرفه أما أنتم فتعرفونه لأنه معكم ويكون فيكم.» [يوحنا ١٤ : ١٥ـ١٨]

من هو المعزى الآخر روح الحق الذى يمكث معهم إلى الأبد؟ إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد ﷺ والقرآن الكريم خالد بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها باعتبار أن القرآن الكريم هو آخر صور وحى الله إلى الناس .

ولقد جاء بإنجيل يوحنا أيضا : « بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزى الروح القدس ، الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ماقلته لكم.» [يوحنا ١٤ : ٢٥ـ ٢٦]

من هو المعزى ، الروح القدس الذى سيرسله الله ليعلم الناس كل شئ ..؟

المعزى ، الروح القدس و الذى أرسله الله مصرحا باسم السيد المسيح عيسى ابن مريم ومصرحا بصفته ، موضحا رسالته ومثبتا لمعجزاته ومكملا للناس دينهم هو محمد ﷺ وقد علم البشرية كل شئ يتعلق بالعقيدة ويتعلق بشريعة الله كما ارتضاهما الله للبشر .

وهكذا تنبأ العهد الجديد كما كان قد تنبأ العهد القديم بمجئ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ياصاحبى .

وهكذا يتضح ولا ريب صدق قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٧]

ورغم وضوح دلالة هذه النصوص المؤكدة لنبوءه التوراة والإنجيل بمجئ الرسول النبى الأمى الذى يجده اليهود والنصارى مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل إلا أن

خصوم الإسلام يسيئون تأويل هذه النصوص إساءة بالغة. وقد سبق أن أوضحنا لك بهدوء ووضوح أسباب فساد تفسيرهم وتأويلهم لها وفق أهوائهم بل سبق أن أوضحنا استحالة صحة تفسيرهم لهذه النبؤات بما يصرفها عن التنبؤ بمجئ خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد ﷺ. وأبرز محاولاتهم فى التضليل لصرف النبوءات التى أشرنا إليها عن سيدنا محمد وتحويلها إلى نبى لم يأت بعد حتى يومنا هذا بزعم اليهود الذين لا يزالون ينتظرون مجيئه هو قول اليهود أن هذا النبى يلزم من وجهة نظرهم أن يكون « مسيحا » وللمسيح فى نظر اليهود مفهوم ، ولمسحه طقوس كهنوتيه فى عرفهم يريدون أن يلزموا بها الله سبحانه وتعالى ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين من بين ظهرانيهم بالضرورة مراعاة من الله سبحانه وتعالى لطقوس مسح اليهود للمسيح وكأنما يلزم بالضرورة من وجهة نظر اليهود العقيمة أن يلتزم الله سبحانه وتعالى فى اختياره لخاتم الأنبياء والمرسلين بهذه الطقوس اليهودية المتعلقة بمسح المسيح ليكون مسيحا. وزيف هذا الادعاء اليهودى واضح غاية الوضوح إذ تقضى البداهة أن البشر يلزم أن يتأدبوا ولا يليق بالبشر يهودا وغير يهود، أن يفرضوا على الله سبحانه وتعالى أية طقوس كهنوتية مما تواضع عليه البشر فى ممارساتهم الدينية كما أنه لا يجوز ـ ضرورة وتأدبا ـ أن يحد مطلق اختيار الله واصطفائه لمن يشاء للرسالة والنبوة حدود أو قيود يحاول البشر بغير حق فرضها على مطلق اختيار الله واصطفائه لرسله وأنبيائه. ومن المعروف أيضا ـ ياصاحبى ـ أن اليهود كانوا يريدون أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين من بنى إسرائيل وليس من بنى إسماعيل . وكأن اليهوديريدون أن يفرضوا رغبتهم هذه فرضا على الله سبحانه وتعالى وهومالا يليق ولايجوز بداهة .

ولقد حاول «النصارى» ياصاحبى أن يصرفوا نبوءات التوراة بمجئ محمد ﷺ خاتما للأنبياء والمرسلين عليهم السلام إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما حاولوا تأويل النبوءات المتعلقه بهذا الشأن بالعهد الجديد تأويلا يحول دون دلالتها على مجئ محمد ﷺ وتبلغ الجرأة على ذلك بالنصارى إلى حد قولهم إنهم ليسوا

ملزمين بتصديق ما يذكره القرآن الكريم ويقرره بهذا الخصوص وتبلغ بهم الجرأة حدا أبعد من ذلك إذ يتهمون القرآن الكريم بالكذب فيما يدعو إليه القرآن الكريم بهذا الخصوص ويشيرون إلى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾

[سورة الصف : ٦]

يقولون على سبيل المغالطة الساذجة الفجة أملا فى أن تجوز مغالطتهم على من لادراية لهم من الناس يقولون : « هاكم الإنجيل بعهديه القديم والجديد . ليس فيه أحمد وليس فيه محمد ! وليس فيه محمود ! » ....

ولو تمكنوا ـ كما يأملون أمل أبليس فى الجنة ـ أن يشككو أحدا من الناس فى صدق ما ذكره الله فى الآية الكريمة السادسة من سورة الصف لنجحوا فى التشكيك فى كل ما يذكره القرآن الكريم... ولكن هيهات !

إن المسلم العادى الثقافة والقدرة على التفكير السليم يرد على هذه المحاولة الساذجة العقيمة بقوله : لقد أخبرنا القرآن الكريم ذاته أن اليهود والنصارى قد حرفوا كلام الله عن مواضعه وحذفوا منه وأضافوا إليه فى الكتب السماوية المنزلة من الله على سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام وهذا الرد الفورى البديهى الذى يرد به المسلم العادى الثقافة والقدرة على التفكير السليم صحيح تماما كما سنوضح فيما بعد .

بيد أن مغالطة أهل الكتاب فى محاولتهم تحدى الإنسان المسلم بقولهم: هاك الإنجيل بعهديه القديم والجديد وليس فيه اسم «أحمد» مغالطة مفضوحة لسبب آخر يتلخص فى أن مغالطتهم مغالطة زائفة . ونستطيع ياصاحبى ها هنا أن نوضح السبب كما يلى .

فلنأخذ على سبيل المثال لا الحصر واحدة من نبوءات الإنجيل المبشرة بقدوم خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ ألاوهى تلك النبوءة التى تقول: «وأما المعزى الروح

القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم» .
[إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٦]

سبحان الله ياصاحبى! إنجيل يوحنا الذى أرادوا به إنشاء إنجيل تصرح بعض نصوصه بألوهية المسيح إذ كان قد راعهم خلو الأناجيل الثلاثة السابقة له «متى ومرقص ولوقا » من وجود جملة واحدة بأى منها تصرح بألوهية المسيح ، فأوعزوا إلى يوحنا بإنشاء إنجيل تصرح بعض الجمل به بألوهية المسيح وعلى الرغم من أن يوحنا قد استعان ببعض ، وليس كل أقوال المسيح الحقيقية وأدمجها فى الإنجيل الرابع الذى أنشأه إلا أنه لم يستطع أن يصرح صراحة بألوهية المسيح. حام حولها ولم يستطع ولوجها وبدلا من ذلك أفلتت منه بعض العبارات التى ذكرها على لسان المسيح تنبىء وتبشر بمجئ خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. ويكاد ينفرد إنجيل يوحنا بهذه الخاصية الفريدة . وياللعجب! طلبوا من يوحنا إنشاء إنجيل يصرح بألوهية المسيح، فأخفق يوحنا رغم إمداده بالمادة العلمية والتاريخية بغزارة فى أن يصرح فى إنجيله بألوهية المسيح وصرح بدلا من ذلك وتنبأ وبشر بقدوم ومجئ محمد ﷺ خاتما للأنبياء والمرسلين ليكمل للناس دينهم عقيدة وشريعة كما يتمثل ذلك فى أقوال المسيح التى ذكرها يوحنا منسوبة إلى المسيح عليه السلام والعهدة عليه فى نسبتها إليه كما هو حاصل فى النص الذى اقتبسناه هاهنا :
[يوحنا ١٤ : ٢٦]

بأية لغة ـ ياصاحبى ـ كتب يوحنا إنجيله الإفسسى الفلسفى الرابع ؟ دونما خوض فى تفاصيل أدلة وقرائن يطول الخوض فيها نسأل فحسب ياصاحبى عن «اللغة» التى كتب يوحنا بها الإنجيل الرابع المنسوب إليه ، سواء كان كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا بن زبدى ، حوارى المسيح المعروف ، كما يحاول النصارى التشبث بهذا الوهم رغم أن يوحنا بن زبدى حوارى المسيح كان صياد سمك محدود الثقافة وكان عاميا على حد وصف القديس لوقا له فى أعمال الرسل ولم تكن اللغة اليونانية هى اللغة الأم الأصلية بالنسبة ليوحنا بن زبدى حوارى المسيح، سواء كان

كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا بن زبدى حوارى المسيح، أو « يوحنا آخر » يونانى الجنسية ، يونانى الثقافة، متبحر فى الفلسفة ، متمكن من اللغة اليونانية الفصحى الراقية ليقع عليه اختيار القوم لإنشاء إنجيل رابع تصرح واحدة من عباراته بألوهية المسيح أم لم يكن ، فإننا نسأل فحسب ياصاحبى : ما هى اللغة التى كتب بها يوحنا الإنجيل الرابع المنسوب إليه ؟

لا جدال ياصاحبى فى أن اللغة التى كتب بها يوحنا الإنجيل المنسوب إليه هى اللغة اليونااينة القديمة .

كيف بالله ياصاحبى يريد النصارى أن يجدوا كلمة «أحمد» العربية الحروف: ألف مهموزة ، وحاء وميم ، ودال فى إنجيل كتبه « يوحنا » محاولا أن يومئ أو يصرح بألوهية المسيح فى لغة يونانية بليغة بكل مقاييس بلاغة اللغة اليونااينة ؟ إنهم يكلفون الأشياء ضد طباعها ويطلبون ماء جذوة نار لأن المجئ بجذوة نار « فى الماء » قد أصبح سهل المنال فى عصرنا الحديث أما تحويل الماء نفسه إلى نار فإنه لا يزال فى حدود المستحيل. كيف يريد النصارى أن يجدوا اسم « أحمد » فى إنجيل يوحنا المكتوب باللغة اليونانية الفصحى ؟!

ومع كل سخف مطلبهم بسبب الاستحالة وبسبب تعمدهم المغالطة والتشكيك فيما لاينبغى الشك فيه، إلا أن الحقائق المتعلقة بشبهتهم السخيفة تلك لا تخدم غرضهم فى المغالطة والتشكيك، ولنستحضر النص المشار إليه فى أذهاننا بل فلنضعه تحت إصبعنا وأمام أبصارنا حيث إنه نص قصير يقول « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم »
[يوحنا ١٤ : ٢٦]

هل كلمة «المعزى» ككلمة عربية موجودة فى أصل إنجيل يوحنا المكتوب باليونانية ؟ كلا ياصاحبى ! تقضى البداهة أن كلمة « المعزى » كلمةعربية ليست موجودة فى إنجيل يوحنا المكتوب باللغة اليونانية وإنما يوجد « ما يقابلها » فى اللغة

اليونانية ، لأن إنجيل يوحنا مكتوب أصلا باللغة اليونانية وقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية ضمن لغات أخرى سواء كانت الترجمة إلى اللغة العربية عن اليونانية مباشرة أو عن لغات أخرى كالإنجليزية أو الفرنسية أو عن أكثر من لغة .

ما هى الكلمة اليونانية الأصلية التى ترجمت إلى كلمة «المعزى» العربية؟ إنها كلمة تنطق بالعربية كما يلى : « البار اقليط » تعريبا للكلمة الإنجليزية المصورة لنطق الكلمة اليونانية : (Parakletos)وهى الكلمة التى تمت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية بكلمة Comforter أى «المعزى » الذى يريح غيره، من آلامه ومتاعبه النفسية التى ألمت به لسبب من الأسباب وقد ترجمها ، ترجم كلمة « باراقليط » اليونانية بعض الإنجليز بـ advocate التى تعنى «المحامى» الذى يدافع عن حقوق الغير ليستخلصها لهم . وهو المعنى الذى يعبر عنه القرآن الكريم أدق تعبير إذ يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨]

أوليس الرسول الذى يعز عليه أن يتعرض المؤمنون بالله المهتدون بهديه لأى عنت «محاميا» عن أولئك المؤمنين المهتدين إلى الصراط المستقيم؟

وهنالك احتمال أن تكون كلمة المعزى الواردة فى النص المشار إليه ترجمة عربية للكملة التى تنطق باليونانية نطقا يشبه كثيرا ويغاير قليلا كلمة «باراقليط » اليونانية عندما تكون كلمة المعزى ترجمة يونانية تصور حروف كلمة « بيروقليطس » Peroklytos نطقها فى اليونانية ، وهذه الكلمة اليونانية الأخرى تعنى The Admired أى الجدير بالتمجيد والحمد The Glorified وهل بين البشر من هو أجدر بالتمجيد و« أحمد » عند الله وعند الناس من « محمد » ؟!

وهكذا ياصاحبى يصدق بحق وجود كلمة « أحمد » فى الإنجيل ، لا بحروفها العربية لأن هذا التصور بطبيعة الحال مستحيل ولكن فى معناه المتمثل فيما تعنيه

الكلمة اليونانية التى نطقها هو «البيروقليط» ونطقها بالإنجليزية هو [1] (Peroklytos) وقد حرفها بعض العرب أحيانا إلى « الفرقليط» لشيوع إحلال الفاء بدل الباء على ألسنةالناس وخصوصا عندما يعتمد بعض الناس على ذاكرتهم فى استعادة كلمة ذات دلالة هامة. ولقد ظن خصوم الإسلام أن المسلمين سيعجزون عن اكتشاف كلمة «أحمد» فى الإنجيل ، ولكنها موجودة « كمعنى » لكلمة «البيروقليط » المستخدمة فى الأصل اليونانى للإنجيل وهو ما كان يخفى عليهم ولا يخطر ببالهم ويظنون خطأ أنه يستحيل أن يخطر على بال أحد من البشر. وهكذا ياصاحبى يسقط تحدى خصوم الإسلام لحقيقة من حقائق القرآن سقوطا مدويا. وأنى ليوحنا أو غير يوحنا ممن كتبوا كثيرا من أقوال المسيح بأناجيلهم ضمن صياغتهم البشرية لهذه الأناجيل، أنى لهم أن يعرفوا أن فى أقوال المسيح التى أوردوها دون أن يفهموا كل معانيها فى أقوال المسيح ما يتضمن البشارة بمجئ محمد ﷺ « أحمد» الناس ، وأجدر البشر بالحمد والثناء؟ وأنى لهم أن يعرفوا أن سينزل القرآن الكريم على هذا النبى الأمى من أبناء سيدنا إسماعيل ليكشف كل شئ ويعلم البشر كل شئ ويذكر الناس بكل ما قاله المسيح عليه السلام لقومه ،و يسجل على قومه كل ماقالوه وصنعوه بشأنه ويبرئ المسيح عليه السلام من كلماافتروه عليه حطا من شأنه بغير حق أو مبالغة فى تقدير حقيقته بما يخرجه من إطار الرسل من البشر إلى إطار ألوهية لم يزعمها لنفسه بل زعمها له من بالغوا واحتالوا وناوروا لكى يجعلوا منه إلها شبيها بآلهة الرومان التى كانت لها صورة البشر لتقريب مفهوم العقيدة المسيحية إلى أصحاب العقائد الوثنية الرومانية ولمآرب أخرى .

---

(١) جدير بالذكر أن نطق كلمة فى لغتها الأصلية شئ آخر غير معناها وهو شئ آخر غير مقابلها فى لغة أخرى.

معيار مصداقية الكتب السماوية

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة ـ ٢٨٥]

قال صاحبى : لكم يطيب لى الآن أن استعيد تلاوة الآيةالكريمة السادسة من سورة الصف إذ يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾**

صدق الله العظيم .

واستطرد صاحبى ليقول : القرآن الكريم يعترف بالتوراة والإنجيل ويقول أصحاب التوراة كما يقول أصحاب الإنجيل ما معناه : إن محمدا يعترف بصحة التوراة وبصحة الإنجيل هل تعرف أنت أيها الإنسان المسلم أكثر من محمد، وهل أنت أصدق من القرآن الكريم الذى يعترف بصحة التوراة وبصحة الإنجيل؟ فما رأيك ؟وكيف نعرف الآن ، ونحن فى أواخر القرن العشرين ما إذا كان كتاب من الكتب السماوية السابق زمنيا للإسلام صحيح النسبة إلى الله سبحانه وتعالى أم أنه غير صحيح ؟

قلت أنت مولع ياصاحبى بتوجيه أكثر من سؤال فى وقت واحد مع أننى سبق أن أوضحت أننى أفضل سؤالا واحدا .. كما أن أسئلتك ياصاحبى بالغة الذكاء يحتاج الواحد منها كتابا يؤلف للرد عليه ولقد طال بيننا الحوار ياصاحبى أما لأسئلتك من نهاية؟ من تظننى ؟ إن معارفى جد متواضعة .

قال صاحبى : الأسئلة تجمعها رابطة واحدة وهى ليست بعيدة عن موضوعنا ألم تر كيف قال باستر استانلى شوبيرج كبير قساوسة السويد للعلامة ديدات فى واحدة من المناظرات التى جرت بينهما بمدينة استوكهولم يوم ١٩٩١/١٠/٢٧ قال باستر استانلى: «هل أنت يا ديدات تعرف أكثر من محمد.. إن محمداً يعترف كما

يعترف القرآن بصحة التوراة والإنجيل؟» السؤال ليس من اختراعى ولكنه بالفعل سؤال لايزال يطرح على المسلمين حتى يومنا هذا والسؤال الثانى يتطلبه السؤال الأول، إذ أن كيفية التعرف على الصحيح وتمييزه عن الكاذب من الكتب التى يزعم لها بعض الناس القداسة تغدو ضرورة لامناص منها وأنت رجل قرأت ففهمت فسئلت.

قلت: هذا شرف لا أدعيه وتهمة لا أنفيها ولكننى ياصاحبى أود أن يصل حوارنا هذا إلى نهاية. أعترف لك ياصاحبى أن طول الحوار قد أرهقنى وأنت ياصاحبى لا تكف عن إثارة الأسئلة ويعجبنى ما تنم عنه أسئلتك من ذكاء رغم ما تكلفنى الإجابة عليها من عناء . ويعجبنى أيضا أنها مرتبطة بمنهج ديدات فى الدعوة إلى الإسلام دون مراء ولكننى ياصاحبى أود أن أستريح من هذا الحوار الذى امتد بيننا واستطال ، وأنت تصول فيه بأسئلتك وتجول دون رحمة بى أوشفقة .

قال صاحبى: لا محيص عن إكمال الحوار عملا برأى شاعر العربية إذ يقول :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا ∴ كعجز القادرين على التمام

ومن الضرورى أن توضح لى موقف الإسلام من الكتب المقدسة السابقة زمنيا على ظهور الإسلام وما هو المعيار أو المقياس الذى يمكن لنا أن نستخدمه للتأكد من صحة محتوى كتاب سماوى؟ وكيف يمكن تطبيق هذا المعيار أو المقياس مع التفضل بذكر أمثلة لهذا التطبيق ؟

قلت : يالحلاوة أسئلتك ! من السهل أن تسأل عما تريد دون أن تأبه لما أصابنى من جهد شديد ، الله المستعان ياصاحبى لقد قبلت الحوار معك وأصبح من حقك أن يستكمل الحوار أبعاده وأن يستوفى آمادة وأرجو من الله أن يحقق الفائدة منه. الله المستعان على ما تسألون .

القرآن الكريم ياصاحبى يعترف بصحة نزول الكتب السماوية على بعض الأنبياء المرسلين عليهم السلام قبل الإسلام كالتوراة والإنجيل هذه حقيقة أبرز من أن يشار إليها. ولقد سبق أن ذكرنا نصوص الآيات القرآنية التى تثبت صحة هذه الحقيقة التى لا ينكرها مسلم واحد بل إن الإيمان بالكتب السماوية وبالرسل السابقين للإسلام

شرط من شروط الإسلام وفقا للعقيدة الإسلامية التى تفرض على المسلم أن يؤمن بالله ورسله وكتبه وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾

[سورة البقرة : ١٣٦]

ولكن ياصاحبى أية توراة تلك التى يلزم أن نؤمن بها ؟ وأى إنجيل ذلك الذى يلزم أن نؤمن به ؟ يلزمنا أن نؤمن بالتوراة كما أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام ويلزمنا أن نؤمن بالإنجيل كما أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام ولا يلزم المسلم «أن يؤمن بالتوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة كما هما بأيدى اليهود والنصارى لأن الله قد أنبأنا فى القرآن الكريم أنهم قد حرفوا فيهما وبدلوا وذلك فى مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون**﴾

[سورة البقرة : ٧٥]

قال صاحبى : يقولون أنهم لم يحرفوا ولم يبدلوا ويسألون : من الذى حرف أو بدل؟ ومتى؟ وماذا حرف أو بدل؟ وأين؟ ويسألون أيضا: لماذا نتهم بتحريف التوراة والإنجيل ولماذا الافتراض بأن القرآن لم يلحق به تحريف ولا تبديل ؟

قلت : فلنبدأ بالشق الأخير من سؤالهم : لقد أنبأنا الله سبحانه وتعالى أنه قد ائتمن أهل الكتاب على التوراة والإنجيل ليحافظوا على كل منهما فلم يحفظوهما ولم يحافظوا عليهما وأنهم قد اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولقد أنبأنا الله سبحانه وتعالى أنه قد تعهد بنفسه بالمحافظة على القرآن الكريم بحيث لا يلحقه تغيير ولا تبديل إذ قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إنانحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾

[سورة الحجر :٩]

توضح لنا هذه الآية الكريمة وتؤكد لنا أن الله سبحانه وتعالى نفسه قد تكفل

بالمحافظة على القرآن الكريم وهذه ياصاحبى ميزة كبرى للقرآن الكريم .

قال صاحبى : ألم يتكفل الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم؟ ولماذا؟

قلت : تسأل عن كل شئ ياصاحبى ! لم يتكفل الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على الكتب السماوية السابقة زمنيا للإسلام ومرجعنا فى ذلك هو القرآن الكريم نفسه وقد رأيت كيف أكد الله لنا أنه يتولى بنفسه المحافظة على القرآن الكريم وهو محقق وحاصل فى الواقع الفعلى. وتأمل ياصاحبى علامات التوكيد المتعددة فى الأية الكريمة فيما يتعلق بمحافظة الله سبحانه وتعالى على القرآن الكريم : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ... وتأمل بناء الفعل للمجهول فيما يتعلق باستحفاظ بنى إسرائيل على التوراة وائتمان الله لهم بشأن الحفاظ عليها فلم يحفظوها وذلك فى مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾

[سورة المائدة ٤٤]

انظر ياصاحبى كيف أن فعل« استحفظوا » مبنى للمجهول فى الآية الكريمة مما يعنى أن الله قد استحفظ بنى إسرائيل على التوراة أى أنه سبحانه وتعالى قد أمرهم بالمحافظة عليها أما القرآن الكريم فإننا نجد له وضعا متميزا. إنه آخر الكتب السماوية المهمين عليها وهو معجزة المعجزات، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى نفسه بحفظه وهو المتحقق الحاصل .

ولقد أردفت سؤالك هذا بسؤال آخر ياصاحبى وقلت : «ولماذا؟» ... تلك هى حكمة الله ومشيئته ياصاحبى: أنزل التوراة على سيدنا موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل وأمرهم بالمحافظة عليها كتجربة واختبار لهم ، ونتيجة التجربة والاختبار معروفة. وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ للناس كافة

وتعهد الله سبحانه وتعالى بالمحافظة عليه بنفسه حتى لا يلحق به تحريف أو تبديل. ونقصد بالتحريف والتبديل الإمكانية النظرية التى تصل بالتحريف والتبديل إلى جميع النسخ الموجودة بأيدى الناس من كتاب الله أما إذا عمد بعض أشرار الناس إلى تحريف بعض كلام الله وقاموا بطبعه فى مصاحف طلعوا بها على الناس فإننانجد أن مئات الملايين من المصاحف الشريفة السليمة وما تحفظه ذاكرة المسلمين من القرآن الكريم تدحض على الفور تزييف المزيفين وهو الحاصل المتضمن لصدق الله العظيم فيما أخبرنا به عن حفظه سبحانه وتعالى للقرآن الكريم. لقد أصبحت ـ والحمد لله ـ إمكانية تزييف وتحريف كلام الله بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة بالفعل وذلك بعكس الحاصل فى الواقع الفعلى بالنسبة للكتب السماوية السابقة للإسلام إذ أن التحريف والتبديل واضح فيها بل إن أصحابها يمارسونه بأنفسهم حتى اليوم تحت ستار تنقيح الكتاب المقدس ويكتبون على غلافه بكل جسارة عبارة «الطبعة المنقحة من الإنجيل» وكأن كلام الله يجوز عليه التنقيح كالكتب من تأليف البشر!

ونعود ـ ياصاحبى إلى السؤال الأصلى المتمثل فى إنكار أهل الكتاب وقوع تحريف وتبديل فى الكتب السماوية قبل الإسلام . لقد ذكرت لى ياصاحبى أنهم يقولون من الذى حرف وبدل وغير؟ قل لهم ياصاحبى: « لا يهم من الذى حرف وبدل وغير» وليس شرطا ياصاحبى أن يكون الشخص الذى يخاطبك منكرا التحريف والتبديل والتغيير هو الذى فعل ذلك . وعدم اقترافه شخصيا للإثم لايحول بداهة دون إمكانية وقوع الإثم من عشرات أو مئات السنين. نحن لسنا بصدد القبض على جان تفوق جنايته أبشع الجنايات. ولا يهم كذلك زمان أو مكان وقوع جناية تحريف كلام الله عن مواضعه فى الكتب السماوية السابقة فى زمن معين أو مكان محدد على وجه الأرض . وقبل أن تسألنى : ما هو المهم إذا بهذا الصدد ؟ أقول لك ياصاحبى « إن المهم هو بيان وقوع تحريف كلام الله عن مواضعه فى الكتب السماوية السابقة على الإسلام من عدم وقوعه والمهم أيضا ياصاحبى هو العثور على أمثلة توضح بما لا يدع مجالا للشك وقوع هذا التحريف . المهم أيضا ياصاحبى هو وجود مقياس أو

معيار يوضح كيفية تمييز كلام الله الصحيح النسبة إلى الله من الكلام المنسوب زورا إلى الله سبحانه وتعالى » .

ولما كان معيار ومقياس صحة الكلام المنسوب إلى الله هو وسيلتنا فى التعرف على كلام الله الحق وتمييزه عن أى كلام منسوب إلى الله بغير حق ، فمن الضرورى ياصاحبى أن نجد هذا المعيار أو المقياس وهو غير بعيد عنا لقد أمدنا القرآن الكريم نفسه بهذا المعيار أو المقياس وهو يتمثل فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾

[سورة النساء : ٨٢]

ومعنى ذلك ياصاحبى أن كلام الله بحق لا يعقل أن نجد فيه اختلافا أو تناقضا ، ولكن كلام البشر الذى يحاول أحد نسبته إلى الله سبحانه وتعالى لا يخلو من الاختلاف والتناقض .

قال صاحبى: على رسلك هنا . المسألة هامة للغاية إذ تتعلق بالمقياس أو المعيار الذى نقيس عليه ولابد أن يكون مضبوطا لا اعتراض عليه .

قلت: وما وجه الاعتراض على المقياس أو المعيار الذى اقترحته ؟

قال صاحبى: يقول خصوم الإسلام أنهم لا يعترفون بالقرآن الكريم. كيف تأتى لهم بالمقياس أو بالمعيار من القرآن الكريم وتطلب منهم أن يوافقوا على استخدامه؟

قلت : اعتراضك هذا يستدعى أسئلة مثل: الكلام فى كتاب مقدس، أى كتاب مقدس، حجة لمن ؟ على من ؟ وإلى أى مدى ؟

ومن البديهى ياصاحبى أن كلام أى كتاب مقدس إنما هو حجةعلى أصحابه الذين يقدسونه اللهم إلا إذا كانت الحجة فيه تعتمد على العقل والبداهة التى يمكن القبول بها بصرف النظر عن المصدر التى نبعت منه .

ولو افترضنا مجرد افتراض أن لدى الهندوس مثلا كتابا مقدسا لديهم يقول إن أكل لحوم الأبقار محرم شرعا فإن هذا النص ملزم للهندوس دون غيرهم وإذا أكل هندودسى لحم البقر يستطيع أى إنسان أن يعترض عليه وتكون نتيجة الاعتراض أحد

أمرين : إما أن يقر الهندوسى بمخالفة نص من نصوص كتابه المقدس لخطأ وتقصير منه وإما أن ينكر قدسية كتابه المقدس عند قومه ،. وإما أن يكف عن أكل لحم البقر امتثالا لكتابه المقدس عنده وكل هذا أو ذلك غير ملزم لغير الهندوسى .

ولو افترضنا أن لدى الهندوسى فى كتاب مقدس لديه نص يقول « يعطى البقر لبنا واللبن غذاء كامل» فإننانجد أن هاتين الحقيقتين يمكن القبول بأى منهما بصرف النظر عن ورودهما فى كتاب مقدس لدى الهندوس أو عدم ورودهما به .

ولقد سبق ياصاحبى أن استعرنا مقياسا ومعيارا لصدق أوكذب أنبياء الله ورسله من الإنجيل وبالتحديد من رسالة يوحنا الأولى متمثلا فى قول يوحنا : «لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله »

[ايو ٤ : ٢_٣]

ولو أخذنا تعبير « جاء فى الجسد » بمعناه العام وليس بأى معنى شاذ نجد أن هذا المعيار صالح تماما للقياس ويمكن أن تكون صيغته كما يلى:« أى نبى يدعى النبوة» : بعد سيدنا عيسى عليه السلام نبوته كاذبة مالم يعترف بأن المسيح هو عيسى ابن مريم رسول الله عليه السلام ولو طبقنا هذا المعيار أو المقياس لأثبت بما لايدع مجالا لأى شك صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ إذ أنه ﷺ يعترف أن المسيح هو عيسى ابن مريم عليه السلام كما أسلفنا ولا يعتبر المسلم مسلما ما لم يعترف بنبوة سيدنا عيسى ابن مريم وبإنه كان هو المسيح عليه السلام .

وهكذا ياصاحبى يمكن صياغة المقياس أو المعيار الذى أقترحه لقياس صحة نسبة كلام إلى الله بأى كتاب مقدس كما يلى : « أى كلام منسوب إلى الله سبحانه وتعالى بحق يلزم ألا يكون به اختلاف أوتناقض ووجود اختلاف أو تناقض يحول دون اعتبار هذا الكلام منسوبا بحق إلى الله سبحانه وتعالى . فما هو الاعتراض الذى يمكن أن يوجه إلى هذا المعيار أو المقياس ياصاحبى؟

قال صاحبى: يستحيل أن يكون ثمة اعتراض معقول على مثل هذا المعيار أوالمقياس . ومن يرفض البداهة لا حاجة بنا إلى الجدل بالتى هى أحسن معه. إنا نتركه ونمضى إلى حال سبيلنا لنطبق هذا المعيار أو المقياس على نصوص الكتب المقدسة لنرى ما نجده من نتائج القياس فهات أمثلة لتطبيق القياس .

قلت لو طبقنا هذا المقياس على الكتب المقدسة السابقة للإسلام بحالتها الراهنة لوجدنا بها إختلافا كثيرا وتناقضات عديدة. ومن العجيب أن النصارى أنفسهم فى غضون مراجع معتبرة لديهم كدائرة المعارف البريطانية مثلا يقررون وجود آلاف التناقضات بالإنجيل وتصرح بهذه الحقيقة أيضا كثير من المجلات الدينية لديهم إذ كتبت مجلة (استيقظوا Awake) تقول ما ترجمته كما يلى : «اشترى شاب نسخة من إنجيل الملك جيمس معتقدا أنها بدون أخطاء وذات يوم بينما كان الشاب يتصفح (مجلة لوك Look)وجد مقالة بعنوان : « الحقيقة بشأن الإنجيل » ولقد جاء بذلك المقال أنه منذ عام ١٧٢٠ م أعلنت الهيئات البريطانية أنه يوجد على الأقل عشرون ألف خطأ فى الطبعتين الموجودتين بالأسواق آنذاك من الإنجيل الذى يقرأه البروتستانت والكاثوليك ويقول الدارسون المحدثون أنه يحتمل وجود خمسين ألف خطأ» .. انتهى كلام مجلة لوك الذى طالعه الشاب وتستمر مجلة « استيقظوا » لتقول : «وصدم الشاب . لقد اهتز إيمانه بقداسة الإنجيل وقال فى نفسه :« كيف يمكن الثقة بالإنجيل والاعتماد عليه بينما هو يحوى آلاف الأخطاء والمعلومات غير الصحيحة ؟» .

وغنى عن البيان ياصاحبى أن زعماء المسيحية والمحترفين للوظائف الكنسية يحاولون استعادة ثقة الناس بالكتاب المقدس أو الإنجيل Tek Bibleبعهديه القديم وهو التوراة والجديد وهو الإنجيل أو الأناجيل أوبالأصح البشارات والمواعظ ولكن وجود آلاف التناقضات والأخطاء بالعهد القديم والعهد الجديد يجعل جهودهم بغير

طائل إذ أن التناقضات موجودة وتستحيل إزالتها دون مغالطة أو سفسطة ولا تجدى المغالطة والسفسطةفى إزالة التناقضات. إنهم يحاولون، ويؤلفون الكتب التى يحاول مؤلفوها إزالة التناقض وتبرير الأخطاء الموجودة بالإنجيل ولكن من البديهى ياصاحبى أن محاولة إزالة التناقص » شئ « وإزالة التناقض فعلا » شئ أخر لأن « المحاولة » شئ ونجاح المحاولة شيء آخر بالنسبة لكل شئ بما فى ذلك « محاولة » النصارى إزالة التناقضات وتبرير الأخطاء الموجودةبكثرة غريبة فى إلانجيل وتطلعنا كتب ومناظرات العلامة أحمد ديدات على هذه الحقيقة الهامة وتوضحها لنا كتابة وبالصوت وبالصورة كل الإيضاح وتوجد على مكتبى الآن بعض الكتب التى حاول مؤلفوها ولم يوفقوا أن يزيلوا التناقضات أو أن يبرروا الأخطاء ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب : « أصالة الكتاب المقدس تأليف الدكتور إدوارج. يونج ونقله إلى العربية القس إلياس مقار وقامت بطبعه ونشره دار الثقافة وهو كتاب يقع فى ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط والنسخة الموجودة فى مكتبى تحمل رقم مسلسل هو ١٠١٠٠٠١٢ وأدع للقارئ الكريم التأكد بنفسه مما إذا كان يستطيع أن يخرج من قراءة ذلك الكتاب بطائل من عدمه.

وتوجد على مكتبى أيضا نسخة من كتاب «شبهات وهمية حول « الكتاب المقدس » إعداد الدكتور القس منيس عبد النور ، وقامت بطبعه ونشره كنيسة قصر الدوبارة ٧ شارع الشيخ ريحان بجاردن سيتى بمصر ورقم الإيداع الخاص به هو ١٩٩٢/٣٦٥٣ _ I.S.B.N 977-5302-00-5 والكتاب يقع فى ٤٧٨ صفحة من القطع المتوسط وميزة هذا الكتاب الكبرى أنه يقدم حصراً بالأخطاء والتناقضات الموجودة بالإنجيل ويحاول تبريرها أو إزالتها وتقف فى وجهه بطببيعة الحال حقيقة أن المحاولة شيء والنجاح فى المحاولة شيء آخر .

ويستحيل بطبيعة الحال ياصاحبى أن نقدم حصرا بآلاف الأخطاء والتناقضات الموجودة بالعهدين القديم والجديد أو بالتوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة وتوجد كتب أفردها مؤلفوها لهذا الغرض أشهرها كتاب إظهار الحق لمؤلفه رحمة الله خليل

الرحمن الهندى وقد قامت بطبعه ونشره مكتبة الثقافة الدينية دون بذل أى جهد فى محاولة تنقيحه إذ أن مؤلفه من أصل هندى فى لغته العربية شئ من الركاكة ، وليت الناشر اهتم بتنقيح هذا الكتاب والكتاب يقع فى ٧٢٤ صفحة من القطع المتوسط كما أن كتب ومناظرات العلامة أحمد ديدات تشير إلى أهم الأخطاء والتناقضات الموجودة بالتوراة والإنجيل مع إظهار أوجه التناقض بأسلوب واضح جديد ، وبمنهج علمى جديد.

ولذلك نكتفى ها هنا ياصاحبى بعرض نماذج قليلة من الأخطاء والتناقضات الموجودة بالتوراة بحالتها الراهنة وبالإنجيل بحالته الراهنة مع محاولة تقصى محاولات النصارى لإزالة التناقض أوتبرير الخطأ توخيا لأمانة العرض وتمحيصا للمحاولة، وللقارئ الكريم وحده أن يقرر صحة وجود الخطأ أو التناقض وللقارئ الكريم وحده أن يقرر نجاح أو فشل محاولة تبرير الخطأ أو إزالة التناقض.

أولا : فيما يتعلق بالتوراة أو العهد القديم نجد على سبيل المثال لا الحصر أنه قد ورد بسفر التثنية ما يلى: « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم: وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل فى عربات موآب ثلاثين يوما فكملت أيام مناحة موسى» .

[سفر التثنية ٣٤ : ٥ـ ٨]

أليس هذا النص من نصوص التوراة بسفر التثنية جميلا ياصاحبى ؟ وأبلغ آيات جماله من وجهة نظرى أنه يثبت بما لايدع مجالا للشك صحة اتهام القرآن الكريم لبنى إسرائيل أنهم قد حرفوا وبدلوا فى كلام الله سبحانه وتعالى الذى أنزله بالتوراة وأنهم استحفظوا عليها فلم يحفظوها واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ [سورة البقرة: ٧٥]

إن القرآن الكريم يوجه إلى بنى إسرائيل فى الآية السابقة اتهاما علنيا بأنهم يحرفون

كلام الله عن عمد وقصد منهم وليس لقصور فهم أوعدم دراية : ﴿ **يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**﴾ ولم يستطع بنو إسرائيل أن يحتجوا أو ينكروا هذه التهمة عند نزول مثل هذه الآيات القرآنية الكريمة ، ولو لم يكن الاتهام صحيحا لأنكروه واحتجوا عليه وأثبتوا بطلانه فى حياة رسول الله ﷺ ، ولكنهم آنذاك كانوا يضعون وجههم فى الأرض ويلوذون بالصمت متذرعين بالعناد وبأنهم بنو إسرائيل شعب الله المختار ، لا يقبلون نبيا من غير بنى إسرائيل وكأن لسان حالهم يقول : « لنبى كاذب من بنى إسرائيل خير من نبى صادق من بنى إسماعيل » ! ولكن أهل الكتاب فى العصر الحديث قد استبد بهم العناد أكثر وأكثر واستبد بهم الصلف أكثر وأكثر وغرهم أن الناس فى العصر الحديث لم يعودوا يعيرون أمور العقيدة والشريعة فى الغالب الأعم الاهتمام اللائق بهما فعمدوا إلى المغالطة الصارخة فى محاولات عقيمة لإثبات أن التوراة بحالتها الراهنة كتاب سماوى مقدس ليس فيه تحريف وليس فيه تبديل للكلم عن مواضعه ولم يعتوره حذف ولا نقصان ، ولم تلحق به زيادة أو إضافة من كلام إنسان وما يزعمه القرآن فى مواضع كثيرة إنما هى بنظرهم من لغو الكلام ! لم أوردهذا النص من التوراة ياصاحبى لمجرد الزراية على أصحابها أو بهدف الحط من شأنها أوتجريح عقيدة من يقدسونها . ليس هذا هدفى على الإطلاق وليست تلك هى غايتى. هدفى وغايتى هو إثبات صحة قول القرآن فى مواضع كثيرة أن بنى إسرائيل قد غيروا وبدلوا وحذفوا وأضافوا بالنسبة لكلام الله الذى أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام بالتوراة. ويطلع علينا أهل الكتاب فى أيامنا الراهنة بأن هذا الذى يتهمهم به القرآن الكريم لم يحدث ويسألون عديد الأسئلة وأهمها قولهم: ها هى ذى التوراة أين بها الحذف أو الإضافة؟ ومن الصعب على الإنسان العادى أن يجيب سؤالهم هذا ولكن الباحث المدقق يعرف ويستطيع أن يضع أصابعهم عليه وإنهم ليعرفون صحة اتهام القرآن للتوراة بحالتها الراهنة ولكنهم يظنون أن غيرهم لايعرفون ويحاولون استغلال عدم معرفة الغير.

النص الذى سبق أن اقتبسناه من سفر التثينة ياصاحبى يقول : «فمات هناك

موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل فى عربات موآب ثلاثين يوما فكملت أيام بكاء مناحة موسى». [تث ٣٤ : ٥ ـ ٨]

فلنطبق ياصاحبى المقياس أو المعيار الذى أمدنا به القرآن الكريم ذاته متمثلا فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ [سورة النساء : ٨٢]

ويمكن صياغة هذا المقياس أو المعيار كما سبق أن أشرنا بقولنا «الكلام الذى يوجد به اختلاف وتناقض تستحيل نسبته إلى الله سبحانه وتعالى» .

ولو تأملنا النص السابق الذى اقتبسناه من سفر التثنية [٣٤ : ٥ ـ ٨] ، لوجدنا أنه من المفروض أن الكلام الذى اقتبسناه قد أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام لأنه قد ورد ضمن الأسفار الخمسة من التوراة التى يقولون إنها أسفار موسى. هل من المعقول أن يقول الله لسيدنا موسى: «فمات هناك موسى عبد الرب» ؟ المفروض أن سيدنا موسى هو المخاطب والمفروض أن الله سبحانه وتعالى هو المتكلم الذى ينزل الكلام إلى سيدنا موسى ألا يعرف الله سبحانه وتعالى أن موسى قد مات وهو يخاطبه وينزل إليه الوحى؟ وإذا لم يكن المخاطب هو سيدنا موسى فمن هو على وجه التحديد؟ أم أن التحديد لايهم ؟ من الواضح ياصاحبى أن هذا الكلام فى النص المشار إليه ليس كلام الله وليس كلام سيدنا موسى عليه السلام. إنه بالقطع كلام شخص ثالث أضافه إلى التوراة ونسبه إلى الله سبحانه وتعالى! أوليست التوراة هى كلام الله ؟ أو ليس من اللازم أن يكون الكلام المقدس فى الكتاب المقدس هو كلام الله ؟ وإذا لم يكن الكتاب المقدس يحوى كلام الله فلماذا يكون الكتاب مقدسا ؟ إن تأمل النص المشار إليه يقطع بأن منشىء النص ليس هو الله سبحانه وتعالى ويستحيل أن يكون المخاطب بالنص هو سيدنا موسى ويستحيل أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أنزل هذا النص على سيدنا موسى.

والنص على إيجازه يحفل بالتناقضات ياصاحبى لأنه من صياغة البشر وليس كلام الله سبحانه وتعالى يقول النص المشار إليه: «فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور» على من يعود الضمير المتصل بالفعل الدال على الدفن : « ودفنه » ؟ هل يعود ضمير الفاعل على الله سبحانه وتعالى ؟ من الذى دفن سيدنا موسى عليه السلام فى الجواء ؟ هل دفنه الله ؟ هل قام الله بعمل اللحاد الذى يدفن الموتى ؟ أتعرف ياصاحبى ما يتطلبه دفن الميت من .... ومن .... ومن .... ؟ هل قام الله سبحانه وتعالى بنفسه بمتطلبات دفن سيدنا موسى عليه السلام؟ هل هذا القول يليق بجلال وعظمة الله ؟ أم أن هذا القول فيه من التناقضات ما يحول دون نسبته إلى الله سبحانه وتعالى ؟ ويقول النص المشار إليه ياصاحبى : « ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور .. » ثم يناقض الكلام نفسه إذ يقول : «ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » أى يوم ياصاحبى؟ من الضرورى أنه يوم كتابة الكاتب كلامه ذاك كقول أحدنا : « لم يكتشف أحد جثة القتيل إلى هذا اليوم» فيكون المقصود دون مراء هو أن أحدا لم يكتشف جثة القتيل حتى يوم تحرير التقرير. وإذا كان قبر سيدنا موسى بأرض موآب مقابل بيت فغور فكيف يستحيل التعرف على مكان قبر سيدنا موسى وهو نبى بنى إسرائيل ولم يكن شخصا من عامتهم؟ ويزداد الأمر غرابة وتناقضا عندما يقول منشئ الكلام الذى اقتبسناه من التوراة إن بنى إسرائيل قد بكوا بذات المكان حول القبر طبعا ثلاثين يوما. أيبكى بنو إسرائيل بذات المكان بعربات موآب ثلاثين يوما ثم ينسون مكان دفن سيدنا موسى؟ هل هذا معقول؟ يبكى الناس حول قبر الإنسان العادى يوما واحدا أو بعض يوم ولا ينبهم عليهم معرفة مكان دفن موتاهم فما بال بنى إسرائيل وفقا لما ذكره منشىء النص المذكور قد بكوا ثلاثين يوما بعربات موآب حيث دفن الله بزعمهم سيدنا موسى ولم يعرفوا قبره إلى هذا اليوم سواء كان ذلك اليوم هو يوم تحرير الكاتب لكلامه لكى يلحقه ويثبته ويضيفه إلى التوراة فى الموضع المشار إليه ليظل قابعا فيه أو كان ذلك اليوم هو يومنا هذا الذى

نكتب فيه هذه السطور؟!

وتقتضينا الأمانة العلمية ها هنا ياصاحبى ألا نشير إلى التناقضات الموجودة بواحد من نصوص التوراة دون أن نشير إلى محاولات من يقدسونها بحالتها الراهنة لإزالة التناقضات الموجودة فيها ومرجعنا فى ذلك هو أحدث وأهم كتاب لهم ظهر هذا العام عام ١٩٩٢م وهو كتاب « شبهات وهمية حو الكتاب المقدس » وهومن إعداد الدكتور القس منيس عبد النور ولو ضربنا صفحا عن أن عنوان كتابه يصف الشبهات بأنها وهمية فإننا نجده فى محاولته إزالة تناقضات هذا النص الذى أشرنا إليه بسفر التثنية [٣٤ : ٥ ـ ٨] يقول :[١] قال المعترض : « قال آدم كلارك إن الاصحاح الأخير يقصد الاصحاح الرابع والثلاثون كله » ليس من أقوال موسى لأنه لا يمكن أن يذكر الإنسان خبر وفاته ودفنه فآخر أقوال موسى هو اصحاح ٣٣ » .

ونحمد الله ياصاحبى أن من علماء المسيحية رجال مثل آدم كلارك لاحظوا كما لاحظنا استحالة أن يكون الكلام الذى اقتبسناه من سفر التثنية من أقوال سيدنا موسى عليه السلام ولننظر الآن كيف « سيحاول » الدكتور القس منيس عبد النور أن يزيل التناقض بل التناقضات التى أشار إليها بخصوص هذا النص. سأعرض كلامه بكل أمانة حرفيا كما دونه فى كتابه ، وسأضيف بن قوسين (.........) بعض الملاحظات بخصوص محاولته إزالة التناقضات يقول القس الدكتور منيس عبد النور: «وللرد نقول:« الروح القدس الذى ألهم يشوع أن يكتب الكتاب التالى وهو سفر يشوع يلهمه طبعا تدوين ختام سفر التثنية ولذلك يكون تثنية ٣٤ هو الاصحاح الأول من سفر يشوع». ويستعين القس الدكتور منيس عبد النور بعلماء الدين اليهودى حيث إن التوراة هى كتاب اليهود المقدس استعاره المسيحيون منهم على علاته لنجده يستطرد قائلا : وقال أحد علماء الدين اليهود : «قال أغلب المفسرين» : إن عزرا هو الذى كتب الاصحاح الأخير من التثنية وقال البعض الآخر: إن الذى كتبه هو يشوع وقال البعض الآخر: إن السبعين شيخا دونوا ذلك بعد وفاة موسى ، فإن

---

(١) انظر الدكتور منيس عبد النور : شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – ص ١١١ ـ ١١٢

كتاب التثنية ينتهى فى الأصل بهذه الآية : « طوباك ياإسرائيل، من مثلك ياشعبا منصورا بالرب ترس عونك » وإن الاصحاح الأخير من سفر التثنية كان فى الأصل الأول من سفر يشوع ولكنه نقل من سفر يشوع وجعل فى آخر سفر التثنية على سبيل الإتمام» .

ولتكن لنا هنا وقفة تأمل وتحليل فى محاولة مخلصة للتفهم والفهم والتفاهم ياصاحبى: أحد علماء اليهود الذى لم يتفضل القس الدكتور منيس عبد النور بذكر اسمه رغم أنه ينسب إليه أخطر كلام بشأن كلام الله يقول : « علـى سـبيل الإتمام » إتمام ماذا ؟ هل كان وحى الله إلى سيدنا موسى كما أورده سيدنا موسى بسفر التثنية « ناقصا » فأعاره يشوع بعض الكلام ليتممه ؟ هل يمكن أن يتصور إنسان سوى إمكانية نقصان الوحى الإلهى إلى سيدنا موسى ليأتى يشوع أو غيره ليتممه ؟ ومن المسئول عن وجود هذا النقص المزعوم ؟ هل نسى الله سبحانه وتعالى أن يتم وحيه إلى سيدنا موسى فأتمه يشوع أو غيره ؟ أم أن سيدنا موسى هو المسئول عن وجود هذا النقص؟ أم أن تعبير «على سبيل الإتمام» مقصود منه الإيحاء بأن الحاصل على هذا النحو إنما هو « الإتمام » ؟

ويضاف إلى ذلك ياصاحبى أن ما أورده القس الدكتور منيس عبد النور منسوبا إلى « أحد علماء اليهود » إنما هو احتمالات متعددة فى مسألة تقتضى الحسم والحسم وحده بكل معانيه حيث إنها متعلقة بكلام منسوب إلى الله فى غضون كتاب مقدس: من ذا الذى أضاف هذا الكلام الذى أشرنا إليه على وجه التحديد؟ هل هو يشوع ؟ أم هو عزرا ؟ أم هم السبعون شيخا ؟ وكيف أضافه الشيوخ السبعون ؟ هل اقترحه واحد منهم وصوت الشيوخ التسعة والستون بالموافقة على اقتراحه إضافة هذا الكلام ؟ إن وحى الله ينبغى أن يكون محدد المصدر فلا يصدر الوحى الإلهى إلا عن الله سبحانه وتعالى ، ولا يصدر وحى إلهى عن سبعين شيخا ولا يصدر الوحى الإلهى إلا إلى شخص واحد لتحديد المسئولية وللحيلولة دون تمييعها ولم يزد « أحد علماء اليهود » على أن زاد الشك ارتيابا . وعلى كل حال ياصاحبى نستطيع أن

نطمئن تمام الاطمئنان إلى حقيقتين مؤكدتين أولاهما هى أن النص الذى اقتبسناه [٣٤ : ٥ – ٨] إنما هو إضافة فى غير موضعها وهو ليس من وحى الله وهو ليس من كلام سيدنا موسى وثانيتهما هى تخبط الدكتور القس منيس عبد النور ذات تخبط أحد علماء اليهود » فى تبرير وتعليل هذه الإضافة إلى كلام الله الذى أوحاه الله إلى سيدنا موسى عليه السلام وعدم وصولهما إلى رأى حاسم بهذا الشأن حيث يلزم أن يكون ثمة حسم. ويستطرد الدكتور القس منيس عبد النور فى تزكية رأيه وفى الحكم على رأيه بنفسه لنفسه إذيقول : « وهذا الرأى هو طبيعى إذا عرفنا أن التقاسيم والفواصل والأصحاحات جاءت بعد تدوين هذه الكتب بمدة طويلة فإنه فى تلك الأزمنة القديمة كانت عدة كتب تتصل ببعضها فى الكتابة بدون فواصل فكان يمكن نقل أول كتاب إلى آخر سابق له فيعتبر مع تمادى الزمن خاتمة له كما فى التثنية وهذا ما حدث لكاتب سفر التثنية وموته » (ويقصد الدكتور القس منيس عبد النور أن يقول: «وهذا هو ما حدث لكاتب سفرالتثنية وموته » لأن إسقاط هو بعد اسم الإشارة يجعل «ما» أداة نفى ولا تكون اسم موصول كما يقصد سيادته لو ضربنا صفحا عن هذه المسألة اللغوية البسيطة يهمنامنها فحسب مساعدة سيادته على بلوغ المعنى الذى يقصده. سيادته يقصد أن يقول : هذا هو الذى حدث لكاتب سفر التثنية وموته وكأن سيادته شهد ما حدث لكاتب سفر التثنية وشاهد موته! هل كان كاتب سفر التثنية اسمه موسى ؟ النص الذى يحاول سيادته الدفاع عن صحته يتحدث عن موت ودفن سيدنا « موسى » عليه السلام والتناقض الذى أشرنا إليه جوهره هو استحالة أن يتحدث الله إلى سيدنا موسى عن موت ودفن سيدنا موسى فيثبت سيدنا موسى عليه السلام ما أوحاه الله بهذا الشأن بالأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية بدءا من الجملة الخامسة حتى الجملة الثامنة والتعلل بأن التقاسيم والفواصل ولأصحاحات جاءت بعد تدوين هذه الكتب بمدة طويلة وإقرار سيادته بأن عدة كتب كات تتصل ببعضها بدون فواصل يشكك ويبعث على الريب فى التوراة كلها. ما هكذا ينبغى أن يكون الشأن بالنسبة لكتاب مقدس يحوى كلام الله !

إن سيادته وهو يحاول تبرير تناقض بخصوص أربع جمل وردت بالتوراة يشكك فى التوراة كلها ، إذ: ما حاجة الناس إلى كتاب لم يحسن كُتَّابُه كتابته باعتراف أصحابه أنفسهم؟ .

وسيادته لم يتأمل بداية الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية الذى يبدأ هكذا: «وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة التى قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان »

ومعنى ذلك أن سيدنا موسى فى بداية الاصحاح الرابع والثلاثين لم يكن قد مات لأن الله استمر يكلمه فيما يلى بذات الاصحاح الرابع والثلاثين : « وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها» .. هذا بينما يبدأ سفر يشوع بداية واضحة غاية الوضوح هكذا: «وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا موسى عبدى قد مات ..» [يشوع ١ : ١ - ٢] مما يقطع بأن الله كان يعرف ما إذا كان يكلم سيدنا موسى أم يتكلم عن سيدنا موسى إلى يشوع وهو يقطع أيضا بأنه فى تلك الأزمنة القديمة كان الكتبة يعرفون كيف ينسبون الكلام إلى قائله وإلى متلقيه بدليل تحديد المتكلم والمتلقى للكلام فى بداية الاصحاح الأول من سفر يشوع : «الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا . موسى عبدى قد مات » ناهيك ياصاحبى عن عدم التعرض إطلاقا لمحاولة إزالة التناقضات الضمنية الموجودة داخل محتوى الجمل الأربع المشار إليها مثل عدم لياقة القول بأن الله قد دفن سيدنا موسى وأن أحدا لم يعرف قبره إلى ذلك اليوم أو إلى يومنا الحاضر مع تحديده تحديدا كافيا ومع نياحة بنى إسرائيل بذات مكان دفنه ثلاثين يوما.

ويستطرد الدكتور القس منيس عبد النور فى الإيهام بإزالة التناقض استطراداً يفتقر إلى المعقولية أكثر وأكثر إذ يقول : « وقال أحد المحققين : «لابد أن يشوع توجه مع موسى إلى الجبل فكما أن إيليا واليشع كانا يسيران ويتكلمان ، وإذا مركبة من نار وخيل قد فصلت بينهما ، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء [٢ ملوك ٢ : ١١]

كذلك كان الحال مع موسى ويشوع ، فإن يشوع كان ملازما لموسى إلى أن أخذه الله منه فسجل يشوع قصة موت موسى » هل يريدنا الدكتور القس منيس عبد النور أن نعتبر أن « مركبة من نار وخيل » قد أخذت كلاماً من سفر يشوع ووضعته فى سفر التثنية ؟ هذا لو صحت نسبة الكلام بسفر التثنية وهو من أسفار سيدنا موسى إلى خادمه يشوع ولكنها بموجب ما أورده سيادته بنفسه من أقوال أحد علماء اليهود مجرد احتمال. الشئ الوحيد المؤكد هو أن سيادته فى محاولة التعمية الأخيرة والتعتيم الأخير قد أضاف تناقضا داخليا فى مقولته الأخيرة إلى التناقضات التى أشرنا إليها إذ يزعم سيادته أن يشوع بن نون كان قد توجه مع موسى إلى الجبل وأنه كان ملازما لموسى إلى أن أخذه الله منه فسجل يشوع قصة موسى ولم يقل لنا سيادته أخذ الله سيدنا موسى من يشوع بن نون إلى أين ؟ هل دفنه الله حقا أم لم يدفنه ؟ وإذا كان يشوع بن نون ملازما لسيدنا موسى إلى أن أخذه الله منه فكيف لا يعرف يشوع بن نون قبر سيدنا موسى ؟ هل تزيل « مركبة من نار وخيل» هذه التناقضات ؟

وندع لك ياصاحبى كما ندع للقارئ الكريم تقرير ما إذا كان الدكتور القس منيس عبد النور قد نجح فى الرد على المعترض أم لم ينجح والرأى عندنا أن المحاولة شئ ونجاح المحاولة شيء آخر.

ثانيا : فيما يتعلق بالعهد الجديد نكتفى أيضا بإبراز تناقض واحد كمثال أو كعينة وننظر هل استطاع المنافحون عن صحة الكتاب المقدس بحالته الراهنة وخلوه من التناقضات فى محاولتهم أم أن المحاولة شئ والنجاح فى المحاولة شئ آخر .

ورد بإنجيل متّى ما يلى: «لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال »

[متى ١٢ : ٤٠]

من ذا الذى يتكلم هذا الكلام الذى اقتبسناه من إنجيل متى فى الموضع المشار ؟ هل هو الله ؟ كلا لا يعقل أن يقول الله كلاما فيه اختلاف وتناقض! هل هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؟ كلا يستحيل ذلك لذات السبب ولسبب آخر

ألا وهو أن المسيح يستحيل أن يتحدث عن مدة بقائه ميتا فى قبره. هل هو القديس متى؟ نعم بالطبع. النص المقتبس موجود فى إنجيل متى . هل يوجد اختلاف وتناقض بهذا النص بالجملة الأربعين بالاصحاح الثانى عشر من إنجيل متى ؟ نعم بالطبع! ما هو بيان ذلك التناقض بذلك النص ؟ بيان التناقض بهذا النص كما يلى :

لا يخفى أن النص المشار إليه يتحدث عن مدة بقاء جثمان سيدنا عيسى عليه السلام بالمقبرة . وعندما يتحدث نص مقدس عن مثل هذه المسألة فمن الضرورى ألا يتضمن حديث النص المقدس تناقضا واضحا أو خطأ حسابيا مكشوفا ظاهرا ، إذ المفروض أن النص المقدس هو كلام الله وفقا لرواية القديس متى . وعندما نحسب مدة بقاء جثمان المسيح عليه السلام بالمقبرة نلمس خطأ حسابيا ظاهرا.ومدة بقاء المسيح عليه السلام بالمقبرة محددة البداية والنهاية وفقا لرواية الإنجيل ذاته إذ أن وضع جثمانه بالمقبرة بعد صلبه فيما يزعمون ـ ونحن بطبيعة الحال، نحسب المدة حسب زعمهم ـ إنما تبدأ من غروب يوم الجمعة وعند طلوع فجر يوم الأحد ذهبت مريم المجدلية إلى المقبرة فوجدتها مفتوحة ولم تجد جسد المسيح عليه السلام بالمقبرة فيما يزعمون أيضا. فلنحسب مدة بقاء جثمان السيد المسيح بالمقبرة وفق مزاعمهم ليتضح بما لا يدع مجالا لشك أنها لم تكن ثلاثة أيام وثلاث ليال والجدول يوضح معالم هذه المسألة الحسابية كل التوضيح .

عيـــد القـــيامـــة	مدة بقاء جثمان المسيح بالمقبرة	
	أيام	ليال
يوم الجمعة : يزعمون أن جثمان المسيح قد تم وضعه بالمقبرة عند غروب الشمس .	————	ليلة واحدة
يوم السبت : جثمان المسيح بالمقبرة .	يوم واحد	ليلة واحدة
يوم الأحد : عند الفجر جثمان المسيح غير موجود .	————	————
المجموع	يوم واحد	ليلتان

ولقد حاول الدكتور القس منيس عبد النور إزالة هذا التناقض وتبرير هذا الخطأ إذ أشار سيادته إليه بصفحة ٣١١ من كتابه المذكور، وأحال سيادته [١] إلى صفحة ٣٠٩ ضمن توضيح الاعتراض بخصوص ماورد بإنجيل متى (١٢ : ٤) حيث قال سيادته : «قال المعترض: يوجد تناقض بين قول المسيح فى متى ١٢ : ٤٠ إنه يمكث فى القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال وبين الحساب المعمول بين موته وقيامته على أساس الاعتقاد أنه صلب بعد ظهر يوم الجمعة وأقيم صباح الأحد فإذا حسبنامدة بقاء جسد المسيح فى القبر على هذا الأساس نحكم بوجوده فى القبر ساعات قليلة من ظهر الجمعة ، ثم السبت التالى بليلته ثم جزءا من يوم الأحد ، وهو الكائن بين غروب الشمس يوم السبت وبدء يوم القيامة ـ وعلى هذا يكون جسد المسيح قد بقى فى القبر جزءا من يوم الجمعة ، وكل يوم السبت وجزءا من يوم الأحد» (ويلاحظ ياصاحبى أن سيادته يصوغ الاعتراض وفق هواه فيفترض وجود جزء من يوم الجمعة من أنهم يصرون على أن دفن جسد المسيح قد تم عند غروب شمس الجمعة ويفترض أن جسد المسيح كان موجودا بالقبر جزءا من يوم الأحد مع أنهم أنفسهم يصرون على أن مريم المجدلية قد ذهبت إلى القبر عند فجر ذات يوم الأحد ، ولم تجد جسد المسيح. سنضرب صفحا عن تحريف الاعتراض فى صياغة سيادته له وإن كان حساب مدة بقاء جسد المسيح فى المقبره يوضحه الجدول الذى عرضناه من قبل. إن سيادته يريد أن يدخل جزءا من يوم الجمعةوجزءا من يوم الأحد فى حساب أيام بقاء جسد المسيح فى القبر وسنسلم لسيادته بما يشاء لأن لدينا ما يحسم الموضوع بعد قليل. صاغ سيادته الاعتراض كما يشاء وقد نقلناه عن سيادته كما دونه بنفسه ولننظر محاولة سيادته. إزالة التناقض وتبرير الخطأ فى الحساب ونأمل ونرجو له التوفيق .

يقول سيادته بذات صفحة ٣٠٩ من كتابه : « وللرد على المعترض نقول :

---

(١) لسنا ندرى ما سبب الإحالة إلى متى ١٢ : ٤ ، ولا علاقة ألبتة بين النصين ولا تبرير لذلك سوى أن سيادته يريد أن يبعد الأنظار عن تأمل النص فى متى ١٢ : ٤٠ .

كان اليهود كسائر الشرقيين وهذه حقيقة معروفة ومسلم بها يعتبرون بدء اليوم من غروب الشمس وكانت عادتهم أن يطلقوا الكل على الجزء فيطلق « اليوم » على جزئه.» وهذه ياصاحبى مغالطة مكشوفة إذا جاز إطلاق الكل على الجزء على سبيل المجاز ، فإنه لا يجوز فى عالم الواقع والحقيقة ولم يكن ذلك معهودا لدى البشر قديما ولا يجيزه البشر حديثا فى التعامل مع الواقع الفعلى كما هو الشأن بصدد موضوعنا. إننا نريد أن نحسب. والحساب محاولة معرفة مدة زمنية فى الواقع الفعلى. لا ينفع ولا يجدى « المجاز » عن حساب المحسوسات فى الواقع الفعلى للناس قديما وحديثا . ولا يجوز إطلاق « اليوم » على جزئه كما أنه لا يجوز إطلاق «الجنيه» على جزئه عندما يتحاسب الناس فى الواقع الفعلى عندما ينشدون الدقة فى الحساب وليس من المعقول قديما ولا حديثا أن يكون شخص مدينا لآخر بمائة جنيه وعند سداد الدين يقدم المدين للدائن مائة نصف الجنية وهو يقول له: اعتبر نصف الجنيه جنيها! ولو أن أحد القضاة حكم على أحد الجناة بقضاء ثلاث سنوات بالسجن، كيف تحسب هذه السنوات الثلاث؟ هل يجوز حسابها باعتبار أن جزء السنة ولو كان شهرا أو بعض شهر يعتبر عاما كاملا؟! هل يتم تنفيذ حكم القاضى لو بقى الجانى المحكوم بثلاث سنوات عاما وشهرين أم يكون حكم القاضى قد أهدر عند التنفيذ لغير سبب سوى الخطأ فى حساب المدة . حساب المدةفعلا يستلزم « الحقيقة » لا « المجاز » ياصاحبى. ونضرب صفحا عن ذلك لأن لدينا ما يحسم وجود التناقض والخطأ كما سنرى بعد قليل وبقية رد سيادته فى الموضع المشار إليه لايخرج عن هذه النظرة المجازية التى تبيح إطلاق الجزء على الكل يقصد أن جزء اليوم يعتبر يوما ومع أن هذا لا يجوز فى الواقع الفعلى إلا أننا سنضرب عن استحالته صفحا .

التناقض مع كل هذا موجود والخطأ يستحيل تبريره. سنوافق على اعتبار جزء اليوم يوما. سنفترض أن جسد المسيح بقى فى المقبرة جزءا من يوم الجمعة ، ويوم السبت كله وجزءا من يوم الأحد ليصح القول بأنه بقى فى القبر ثلاثة أيام ، فماذا عن حساب الليالى؟ لدينا ليلة الجمعة ولدينا ليلة السبت . وفجر يوم الأحد لم تجده مريم

المجدلية وفق نصوصهم بالقبر وبذلك تكون لدينا ليلتان فأين الليلة الثالثة ؟ بل، أين أين جزء ولو كان ضئيلا من ليلة ثالثة؟

(١)	(٢)	(٣)
نهار الجمعة ! ليل السبت	نهار السبت ليل الأحد	نهار الأحد ! ؟

إن القديس متى جعل المسيح يقول : « لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (متى ١٢ : ٤٠) ؟! إن أمكن وجاز على سبيل المجاز لهم إيجاد ثلاثة أيام يستحيل عليهم إيجاد ثلاث ليال !

وندع لك ياصاحبى، وندع للقارئ الكريم تقدير ما إذا كان الدكتور القس منيس عبد النور قد نجح فى إزالة التناقض وتبرير الخطأ أم أنه لم ينجح. الحقيقة المؤكدة بوجه عام ياصاحبى هو أن المحاولة شيء ،والنجاح فى المحاولة شئ آخر .

قال صاحبى : صدقت المحاولة شئ والنجاح فى المحاولة شئ آخر .

ولقد أخفق سيادته فى محاولة إزالة هذا التناقض بالعهد الجديد كما أخفق فى محاولته إزالة التناقض بالعهد القديم .

قلت : ذلك لأن المحاولة شئ ، ونجاح المحاولة شئ آخر، ياصاحبى .

مناظرة النبى عليه السلام
مع وفد نصارى نجران

قلت: ولننتقل ياصاحبى إلى صورة آخرى من صور الحوار الذى اقتضته مشيئة الله وكان أحد أطرافه رسول الله ﷺ.

قال صاحبى : إننى جد مشوق إلى مثل هذا الحوار .

قلت : أنت تعرف ياصاحبى أن ظهور دعوة الإسلام على يدى محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كان حدثا ضخما فى مكة أولا وفى يثرب التى أصبحت المدينة المنورة بهجرة الرسول إليها مع أتباعة من المسلمين ثانيا،وفى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية ثالثا. ولم تلبث أصداء التوحيد الإسلامى أن ترامت أصداؤها شرقا حيث الفرس المجوس عبدة النار وشمالا وشمال غرب وجنوبا حيث كان الرومان والخاضعون لنفوذ الرومان فى الحبشة واليمن وشمال إفريقيا قد انحرفوا بدعوة المسيح إلى عبادة المسيح ضمن تثليث ثلاثى الأقانيم ابتدعوه. ولم تكن أصداء ضعيفة أو خافته أومتقطعة، ولكنها كانت أصداء قوية صاخبة مستمرة الإيقاع. كانت رسالة مكتوبة أملاها خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام قد وصلت إلى كسرى أنو شروان وكانت رسالة منه ﷺ مكتوبة أيضا قد وصلت إلى إمبراطور الرومان وكانت مناوشات عسكرية قد وقعت بين المسلمين وبين جنود هاتين القوتين فى معارك مثل مؤته وتبوك. ولم يكن لليهود فى المعمور دولة آنداك ولكن أعظم تجمعات اليهود شأنا كان موجودا على تخوم شبه الجزيرة العربية بالمدينة المنورة ذاتها وفيما جاورها من تخوم ، وكان اليهود قد استنفذوا مكرهم وحيلهم ودهاءهم ودسائسهم وجدلهم لنبى الإسلام ، ولم يظفروا بطائل وكان من الضرورى أن تسبق معارك الفكر والحوار معارك السيف والقتال .

كلف إمبراطور الرومان كبير أحبار النصارى فى نجران أن يتوجه على رأس وفد من

أعلم علماء القساوسة والرهبان للقاء محمد ﷺ ولا سيما وأنهم يجيدون العربية لمحاولة التغلب على هذا النبى العربى فى حوار يقضى على دعوته فلا يقر لها قرار لو قدر لكبير الأحبار من نصارى نجران أن ينتصر فى مثل هذا الحوار .

ويروى لنا الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد» قصة هذا الوفد النصراني وقصة حواره مع النبى ﷺ فيقول : « فى هذا الوقت الذى اشتد فيه الجدل بين محمد ﷺ واليهود وفد على المدينة وفد من نصارى نجران عدتهم ستون راكبا ، من بينهم من شرف فيهم ودرس كتبهم وحسن علمه فى دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات . ولعل هذا الوفد إنما جاء إلى مدينة النبى حين علم بما بينه وبين اليهود من خلاف طمعا فى أن يزيدوا هذا الخلاف شدة حتى يبلغ به العداوة فيريح النصرانية المتاخمة فى الشام وفى اليمن من دسائس اليهود وعدوان العرب. واجتمعت الأديان الثلاثة الكتابية بمجئ هذا الوفد وبجداله النبى وبقيام ملحمة كلامية عنيفة بين اليهودية والمسيحية والإسلام: فأما اليهود فكانوا ينكرون رسالة عيسى ومحمد إنكارا فيه من العنت ما رأيت ويزعمون أن عزيرا بن الله وأما النصارى فكانوا يقولون بالتثليث وألوهية عيسى وأما محمد ﷺ فكان يدعو إلى توحيد الله وإلى الوحدة الروحية تنتظم العالم من أزله إلى أبده. كان اليهود والنصارى يسألونه عما يؤمن به من الرسل فيقول : ﴿ **آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ .

[سورة البقرة : آية ١٣٦]

« وكان ينكر عليهم أشد الإنكار كل ما يلقى أيه شبهة على وحدة الله ، ويذكر لهم أنهم حرفوا الكلم مما فى كتبهم عن مواضعه وأنهم يذهبون إلى غير ما ذهب إليه النبيون والرسل الذين يقرون لهم بالنبوة ، وأن ما جاء به عيسى وموسى ومن سبقهم

لا يختلف فى شئ عما جاء به ، لأن ما جاءوا به إنما هو الحقيقة الأزلية الخالدة التى تتكشف فى جلال وضوحها وعظمة بساطتها لكل من نزه نفسه عن الخضوع لغير الله فى عظمة وحدانيته لينظر فى الكون على أنه وحدة متصلة نظرة سامية فوق أهواء الساعة ومطامع العاجلة وشهوات المادة مجردة من الخضوع الأعمى لأوهام العامة ولما وجد عليه آباءه وأجداده.

« أى مؤتمر أعظم من هذا المؤتمر الذى شهدت يثرب ، تلتقى فيه الأديان الثلاثة التى تتجاذب حتى اليوم مصاير العالم ، وتلتقى فيه لأسمى فكرة وأجل غاية ! لم يكن مؤتمرا اقتصاديا ، ولا كان مرماه أى غرض من هذه الأغراض المادية التى ينطح عالمنا اليوم عبثا صخرتها ، وإنما كان مرماه غاية روحية تقف من ورائها فى أمر النصرانية واليهودية مطامع السياسة ومآرب أرباب المال وذوى الملك والسلطان ويقف فيه محمد ﷺ لغاية روحية إنسانية بحته يملى عليه الله فى سبيلها الصيغة التى يلقى بها إلى اليهود والنصارى وإلى الناس كافة يقول لهم فيها ما أوحاه إليه ربه أن **﴿قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾**. [سورة آل عمران : ٦٤]

ماذا يستطيع اليهود أو يستطيع النصارى أو يستطيع غيرهم أن يقولوا فى هذه الدعوة: ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ! فأما الروح المخلصة الصادقة فأما النفس الإنسانية التى كرمت بالعقل والعاطفة فلا تستطيع إلا أن تؤمن بهذا دون غيره لكن فى الحياة الإنسانية إلى الجانب النفسانى جانبها المادى فيها هذا الضعف الذى يجعلنا نقبل لغيرنا علينا سلطانا بثمن يشترى به أنفسنا وأرواحنا وقلوبنا فيها هذا الغرور القتال للكرامة وللعاطفة ولنور النفس العاقلة. هذا الجانب المادى المصور فى المال وفى الجاه وفى كاذب الألقاب والرتب هو الذى جعل أبا حارثة أكثر نصارى نجران علما ومعرفة يدلى إلى رفيق له باقتناعه بما يقول محمد ﷺ فلما سأله رفيقه : فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ ! كان جوابه :

يمنعنى ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى .

« دعا محمد ﷺ اليهود والنصارى إلى هذه الدعوة أن يلاعن النصارى ، فإما اليهود فكان بينه وبينهم عهد الموادعة إذ ذاك تشاور أعضاء وفد النصارى ثم أعلنوا إليهﷺ أنهم رأوا ألا يلاعنوه وأن يتركوه على دينه وأن يرجعوا على دينهم ولكنهم رأوا حرص محمد على العدل حرصا احتذى أصحابه فيه مثاله فطلبوا إليه أن يبعث معهم رجلا يحكم بينهم فى أشياء اختلفوا عليها من أقوالهم وبعث محمد معه أبا عبيدة بن الجراح ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه» . *(أ.هـ)

وإذا كان الدكتور محمد حسين هيكل قد أجمل تفاصيل حوار النبى مع وفد نجران من النصارى فإن كتب التفسير وأسباب النزول قد زودتنا بتفاصيل ذلك الحوار الهام الشهير. ويجمع المفسرون على أن آيات صدر سورة آل عمران حتى الآية الثانية والثمانين ، بما فى ذلك الآية الثانية والستون وهى الآية المعروفة بآية المباهلة قد نزلت كلها للرد على دعاوى ذلك الوفد من النصارى ومن ورائه اليهود يرقبون مايمكن أن يسفر عنه ذلك الحوار. يذكر لنا الواحدى فى أسباب النزول أن وفدا من نصارى نجران عدتهم ستون راكبا قدموا إلى المدينة المنورة سنة عشر من الهجرة بقصد مناظرة النبىﷺ وبقصد إظهار المسيحية التى كان بعض الناس قد ابتدعوها تحريفا لتعليم عيسى عليه السلام وأراد وفد النصارى إظهار أنها أولى وأحق بالاتباع وكان على رأس وفد النصارى ذاك ثلاثة هم : عبد المسيح الملقب بالعاقب ، والأيهم الملقب بالصاحب ، وكان ثالثهم هو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وهو أبو حارثة بن علقمة الذى كان ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس يشرف على شئونها لعلمه واجتهاده ويقول الواحدى : دخل أعضاء الوفد مسجد الرسول بعد صلاة العصر عليهم الثياب الحبرات ، جبات وأردية حتى قال من رآهم من أصحاب رسول

---

* انتهى اقتباسنا مما كتبه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه : حياة محمد عن وفد نجران ، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ــ طـ ١٨ ــ دار المعارف بالقاهرة .

الله ﷺ « ما رأينا وفدا مثلهم » ويذكر الواحدى أيضا أنهم قاموا فصلوا متجهين جهة بيت المقدس فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «دعوهم » وبعد أن فرغوا من صلاتهم جاءوا إلى مناظرة رسول الله ﷺ قال الرسول ﷺ بعد أن كانوا قد اختاروا رجلين منهم لمناظرة الرسول : « أسلما » قالا : « قد أسلمنا قبلك » فقال لهما عليه السلام: «كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير » قالا: «إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ » فقال لهم النبى ﷺ : « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه ؟ » قالوا : «بلى» ! قال ﷺ : «ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء؟» قالوا :

«بلى» ! قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه ؟» قالوا : «بلى » ! قال ﷺ : « فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا : «لا» !

قال ﷺ: «فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولايشرب ولا يُحْدث » قالوا « بلى » ! قال ﷺ : « ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبية ثم كان يطعم ويحدث ؟ » قالوا « بلى » ! قال ﷺ : فكيف يكون هذا كما زعمتم؟! (أ.هـ)

صدقت يارسول الله ! لقد حددت يارسول الله فى أوجز الإيجاز مواطن زيغهم وزيفهم!

ويحدثنا علماء أسباب النزول أن آيات صدر سورة «آل عمران» حتى الآية رقم (٨٢) قد أوحاها العليم الحكيم إلى رسوله الأمين الكريم موضحة شأن مريم ابنة عمران أم عيسى المسيح عليه السلام وما كان من شأن آل عمران وبنى إسرائيل حتى نهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه ولم يغب عن علم الله سبحانه وتعالى تردد وفد النصارى من أهل نجران فى الدخول فى الإسلام بالرغم من وضوح الحق أمامهم فى حوار النبى ﷺ معهم وفيما أوحاه الله إليه من آيات بينات بصدر سورة آل عمران إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من**

تراب ثم قال له كن فيكون* الحق من ربك فلا تكن من الممترين *فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين* إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم *فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩ـ٦٣]

وتعرف الآية رقم (٦١) من سورة آل عمران بآية المباهلة إشارة وتخليدا وإثباتا لحدوث ذلك الحوار بين نبى الإسلام عليه السلام وبين وفد نصارى نجران .

وعلى الرغم من نزول آيات القرآن الكريم مصرحة بأسرار حياة المسيح وأمه مريم ابنة عمران ،وعلى الرغم من ذيوع هذه الآيات القرآنية الكريمة ووصولها دون ريب إلى مسامع وفد نصارى نجران ومسامع اليهود المترقبين نتائج حوار وفد نصارى نجران مع خاتم الأنبياء والمرسلين مما أثر فى وجدان هؤلاء وهؤلاء ورج وجدانهم وعقولهم هزا ورجا لا ريب فيه ، إلا أننا نلاحظ غلبة الشيطان وغلبة حبهم لحطام الدنيا وزخارفها على نفوسهم. كبر عليهم أن يدخلوا فى الإسلام وقد أرسلهم قيصر الرومان للتغلب بالحجة والبرهان على خاتم الأنبياء والمرسلين فى عقر داره بالمدينة المنورة عاصمة المسلمين فى حوار تكفل له أهميته الخلود على وجه الزمان! ولكن خاب فألهم وطاش سهمهم ! لقد لزمتهم الحجة وقام على بطلان دعوتهم البرهان! مع أن الرسول ﷺ لم يجادلهم بآيات القرآن الكريم بل حاورهم حوارا لحمته وسداه استمدهما الرسول ﷺ مما لايستطيعون إنكاره من معارفهم التى لايستطيعون إلى إنكارها سبيلا !

وإذ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الرسول عليه السلام أن يدعوهم إلى المباهلة أى الابتهال إلى الله سبحانه وتعالى أن تحل لعنته على الكاذبين كما تقضى بذلك الآية الحادية والستون من سورة آل عمران ، طلب وفد نجران فسحة من الوقت للتشاور، إذ قالوا للرسول عليه السلام : «يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه» ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا له :

«ياعبد المسيح» ، وهو اسمه الحقيقى ، وكان لقبه هو العاقب « ياعبد المسيح ماذا ترى؟» فقال لهم : «والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا هو النبى المرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم «عيسى»ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم أو نبت صغيرهم وإنه الاستئصال يحل بكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم» !

وأتوا إلى النبى ﷺ فقالوا : « ياأبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها فى أموالنا فإنكم عندنا رضا»

قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله ﷺ : « آتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين » .... وبعد صلاة الظهر رأى النبى عليه السلام أبا عبيدة بن الجراح وكان بين المصلين وراءه فدعاه وقال له : « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » .

حوار خالد على مر الزمان تدعمه آيات بينات من القرآن. وإذا كان الناس بفطرتهم التى فطر الله الناس عليها يستطيعون أن يدركوا هل الحق فى جانب سقراط أم الحق فى جانب السوفسطائيين فى تلك المحاورات التى جرت ببلاد اليونان، أيعجز الناس بفطرتهم أن يدركوا أين الحق وأين الباطل بشأن المسيح عيسى ابن مريم ابنة عمران بعد أن جابه رسول الإسلام عليه السلام وفد نصارى نجران بأن عيسى قد حملته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأةولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويحدث * ؟!

ولقد تضمن هذا الحوار الخالد كل القيم وكل المبادئ وكل الشروط الضرورية للحوار الناجح البناء. لم يرفض النبى ﷺ المناظرة والحوار من حيث المبدأ لقد احترم رغبة وفد نصارى نجران فى المناظرة والحوار. ولقد أكرم الرسول ﷺ وفادتهم وأنزلهم

* يحدث : يخرج فضلات الطعام والشراب .

بأكرم منزل بالمدينة المنورة، وهو مسجد الرسول عليه السلام، مع أن غرضهم المعلن غير الخفى هو قهر دعوة الإسلام والانتصار لدعاوى المسيحية على المستوى الفكرى، وهو أهم المستويات فى حياة العقائد والأديان. ولقد احترم النبى ﷺ رغبة أعضاء وفد نجران فى أن يصلوا بمسجده الصلاة التى تواضعوا عليها متجهين فى صلاتهم إلى قبلة غير قبلة المسلمين إذا اتجهوا نحو بيت المقدس وقال لأصحابه : «دعوهم» احتراما لمعتقدات الغير ونزولا على مقتضيات اللياقة بصرف النظر عن الصواب أو الخطأ فى معتقدات الغير أو فى طقوس عبادتهم وإقامة شعائرهم .

ولقد كان كل من طرفى الحوار يستمهل الطرف الآخر بعض الوقت فيمهله. كان الرسول ﷺ يستمهلهم عسى أن يصله وحى الله ليستطيع أن يجابه هذا الوفد النصرانى القادم من نجران رافعا رايات التحدى الفكرى مزودا بعلوم ما مضى من تاريخ ووقائع وأحداث انقطع رجاله الستون منذ نعومة أظافرهم لمدارسة عقائد النصراينة على يد معلمين من أجيال سابقة، واتصلوا بفلسفة اليونان، بعد أن كانت فلسفة اليونان قدبلغت أوج نضجها إذا كانت قد تجاوزت مرحلة سقراط ومرحلة أفلاطون وأرسطو، ومرحلة العصر الهلنستى الذى بذل مفكروه جهودا جبارة بمدرسة الإسكندرية للاستفادة من منجزات الفلسفة لترويج ما دبجوه من معتقدات الدين. كيف..! كيف بالله يجابه ويناظر ويحاور نبى أمى بمفرده مثل هذا الوفد فى حوار على شكل مناظرة يترقبت نتائجها اليهود والمسيحيون والمسلمون ؟! وعندما نعرف أن حياة المسيح بين قومه من بنى إسرائيل كان قدمضى عليها آنذاك حوالى ستة قرون فإننا ندرك أن وقائع حياة المسيح إنما هى بمثابة « غيب » بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ وبالنسبة لأتباعه من العرب. ولقد كان وفد نصارى نجران يستطيع أن يزعم أنه متصل بوقائع حياة المسيح عليه السلام اتصال الأبناء بالآباء وبالأجداد فيما يتعلق بتراث كل شعب من الشعوب، ولكن نبى الإسلام كان حقا مؤيدا بوحى الله مؤزرا بالقرآن الكريم ولقد أطلعه الله سبحانه وتعالى فى أكثر من ثمانين آية أنزلها الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم بصدر سورة آل عمران التى يجمع المفسرون وعلماء أسباب

النزول أنها جميعا قد أنزلها الله بشأن وفد نصارى نجران. ماذا يستطيع وفد نصارى نجران أن يزعم أنه يعرف بشأن حياة المسيح معرفة خلف عن سلف وآيات القرآن الكريم تترى بشأن آل عمران، ومريم ابنة عمران ، وكيف كفلها زكريا وكيف بشر الله زكريا بيحيى! ويردد المسلمون بالمدينة المنورة هذه الآيات البينات من الذكر الحكيم فرحين مستبشرين أن لن ينتصر على رسولهم الكريم وفد نصارى نجران المغرورين المتأنقين المتحذلقين، فلقد أيد الله رسوله الصادق الأمين بآيات بينات من القرآن تقطع الشك باليقين بشأن عيسى ابن مريم وآل عمران وبنى إسرائيل. ولا ريب أن بلغت آيات القرآن الكريم أسماع اليهود بالمدينة وأسماع نصارى وفد نجران فارتعدوا ولم يستقر لهم جنان. ربما كان وقد نصارى نجران مغرورين بما لديهم من شذرات علم غامضة أوغير غامضة ولكنها على كل حال شذرات علم يستطيعون أن يتمسكوا بها وأن يتعصبوا لها، وماذا يملك ذلك العربى الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب من معارف أوعلوم ؟! ظنوا أن مهمتهم سهلة، وظنوا أن غايتهم ميسورة، وما هى إلا جوله واحدة ويعودون منتصرين إلى نجران يزفون منها أخبار انتصارهم إلى عاهل الرومان ولكن فاجأتهم آيات صدر سورة آل عمران ، فارتعد منهم كل جنان ! العربى الأمى يعرف مالا سبيل إلى إنكاره من أخبار بنى إسرائيل وآل عمران ومريم من العذراء وعيسى ابن مريم عليه السلام !

ولقد جرى العرف فى المناظرات أن يحاور الرجل الرجل، ولكن وياللغرابة، طلب وفد نصارى نجران أن يتصدى رجلان لمحاورة النبى عليه السلام ! لماذا ؟ لاريب أن أعضاء وفد نجران قد تحاوروا وقد تناقشوا بشأن من منهم هو الذى سيتصدى لمحاورة النبى فى تلك المناظرة التى يرقب نتائجها اليهود والمسيحيون بما فيهم إمبراطور الرومان والمسلمون فى كل مكان منذ ذلك اليوم المشهود إلى نهاية الزمن ! كانت عدتهم ستين راكبا ولا يعقل أن يتكلم الستون مع رجل واحد. من منهم الذى يستيطع أن يتحاور فى مناظرة مع النبى؟ لا ريب أن أعضاء وفد نجران لم يجدوا بينهم رجلا واحدا يستطيع أن يقف هذا الموقف لضخامة المسئولية ولعظيم هيبة النبى صلى الله

عليه وسلم ولعظيم أثر آيات القرآن الكريم البينات التى تصادف نزولها مع نزول وفد نجران بالمدينة المنورة. ولا شك أن وفد نصارى نجران قد استقر قرارهم على أن يقوم رجلان [١] من وفدهم بمحاورة النبى صلى الله عليه وسلم ولا شك أنهم قد استأذنوا النبى ﷺ فى ذلك فأذن لهم تسامحا من جانبه، وثقة ويقينا من صدق دعوته، واطمئنانا إلى تأييد الله ونصره ، وتقديرا من جانبه ﷺ أن رجلا واحدا من نصارى وفد نجران يستحيل عليه أن يقف هذا الموقف فى مناظرة مع نبى هو خاتم الأنبياء والمرسلين. والدليل على كل ما رجحناه هو أن النبى عليه السلام عندماكان يحاور وفد نصارى نجران كان يخاطب شخصين فيقول لهما مثلا فى مستهل: المناظرة: «أسلما.» وهكذا ..

ومن عجب أن النبى ﷺ لم يعتمد فى حواره مع وفد نصارى نجران على آيات القرآن الكريم ، بل حاورهم بأسئلة بسيطة استهلها بفعل أمر فى كلمة واحدة هى: « أسلما » وحاول ممثلا وفد نصارى نجران المراوغة ولكن النبى عليه الصلاة والسلام لم يلبث أن عاجلهما بسيل من الأسئلة مثل: « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدإلا ويشبه أباه؟» أسئلة واضحة تعتمد على البداهة ولا تحتمل إجابة سوى الإجابة بأداة الإثبات « نعم » أو الإجابة بأداة النفى « لا » . ومن عجب أن لم يستطع ممثلا وفد نصارى نجران الاستمرار فى المراوغة. كانا يجيبان باستخدام آداة النفى « لا» أو «كلا» كما ينبغى، لتصل المناظرة إلى نتيجتها المحتومة وهى انتصار النبى وهزيمة وفد نصارى نجران فى هذه المناظرة العظيمة بين المسيحية والإسلام. ولا حاجة إلى إعلان نتيجة. إن المسألة تشبه أن يقول قاض لسارق: هذه الحقيبة وبها أوراق المدعى ونقوده عثر عليها رجال الشرطة معك . أليس كذلك؟ فيقول الرجل: بلى. ويقول القاضى للرجل : أنت سرقتها خلسة من صاحبها؟ فيقول الرجل : بلى. ويقول القاضى : أم أنك تستطيع الزعم أن الحقيبة هى حقيبتك وليست حقيبة المدعى؟ فيقول الرجل: كلا إنها حقيبة المدعى، ولقد سرقتها منه! هل يحتاج مثل هذا الحوار إلى إعلان

(١) نرجح أن الرجلين كانا كليهما من النصارى ولم يكن أحدهما نصرانيا والآخر يهوديا لأن رسول الله ﷺ كان يناقشهما فيما يتعلق بفساد التصورات النصرانية ولنراجع صميم الحوار .

نتيجة أو مناقشة أو مراء بصددها قدر احتياجه إصدار حكم قاطع ؟ !

إن المناظرة التى جرى حوارها بين النبى عليه الصلاة والسلام وبين وفد نصارى نجران مثل أعلى لما ينبغى أن تكون عليه المناظرة التى استوفت شروط ومبادئ الحوار الجيد ياصاحبى .

قال صاحبى : أليس غريبا أن يطلب وفد نصارى نجران واحدا من المسلمين ليقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون وهم يزعمون أنهم أصحاب دين وقد جاءوا إلى المدينة عن عقيدة هذا الدين منافحين ؟

قلت : يلوح لى ياصاحبى أن هنالك أسبابا وجيهة اقتضت مطلبهم وإن بدا غريبا !

قال صاحبى : ماهى أسباب مطلبهم الذى اعترفت بغرابته فيما ترى ؟

قلت: كانت الروح السائدة طوال وقت المناظرة روح ود وسلام ، وإذا كانت زخارف الدنيا قد حالت بين نصارى وفد نجران وبين الدخول فى الإسلام ، فإن مطلبا هينا كمطلبهم ذاك يعبر عن روح الود والاحترام بأكثر مما يعبر أى كلام. ولن يكلفهم الأمر ثانيا إلا استضافة رجل مسلم واحد فى ديارهم مدة تطول أو تقصر حسب هواهم من الزمان. ولا ضرر ثالثا فى أن يصحبوا معهم أحد صحابة نبى الإسلام عسى أن يشبع فضولهم ورغبتهم فى استطلاع ما خفى عليهم من شئون دين جديد بزغ نجمه بقوة فى السماء والتفتت إليه المسكونة جمعاء وربما كانت لهم ـ رابعا ـ مآرب أخرى إزاء مطلبهم الغريب ياصاحبى فيما أرى .

تم بحمد الله تعالى

فهرس الكتاب

أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين

□ لو كانت وقائع مناظرة النبى ﷺ مع وفد نصارى نجران قد جرت لصالح النصارى كما خطط لذلك إمبراطور الرومان، لكانت الأضواء قد سلطت على وقائع هذه المناظرة الفريدة الحاسمة الدلالة منذ وقوع أحداثها إلى آخر الزمان، ولما ألقيت عليها ظلال الإهمال والنسيان لدرجة أن دلالتها تكاد تغيب عن الأذهان!

□ولم تكن حدثاً بسيطاً، ولم تكن دلالتها شيئاً ضئيلاً، ولم تكن نتائجها نزراً يسيراً، بل كانت بكل المقاييس والمعايير موقعة حاسمة فى حرب طاحنة من حروب الفكر، لايقل النصر فيها أهمية عن أهمية النصر فى أكبر معارك الحرب فى تاريخ البشر.

جرت وقائع هذه المناظرة فى العام العاشر للهجرة، بعد أن كان الإسلام قد دَحَرَ على المستوى الفكرى وعلى المستوى العسكرى فلول الوثنية، ومرواغات اليهودية، فجاء وفد نصارى نجران يريد أن يحسم هذا الصراع الفكرى لصالح النصرانية فلقى مالقيته الوثنية واليهودية!

وإحياءً لمعانى هذه المعركة الحاسمة من معارك الفكر، وليطمئن المسلم تمام الاطمئنان إلى أن الإسلام هو أكبر نعمة أنعم بها الله على من اهتدى إلى الإسلام يحق للمسلم أن يتذكر وأن يتأمل وأن يتدبر تفاصيل هذه المناظرة.